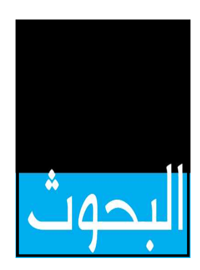


المساجد الطينية بمدينة الدرعية
دراسة مسحية توثيقية

د. منصور بن عبدالعزيز الجديد

دراسة نظرية استقرئية وميدانية تسعى إلى إلقاء الضوء على نمط من أنماط التراث العمرانى في المملكة العربية السعودية، المتمثل في العمارة التقليدية للمساجد في منطقة نجد، وتحديدًا في مدينة الدرعية التي تتميز بعدد كبير من المساجد التاريخية التي بنيت عبر العصور الإسلامية، وتهدف الدراسة إلى حصر ما شيد منها بالطين، سواء ما هدم في حملة إبراهيم باشا وبقي على حالته، أو ما أعيدت عمارته بالمواد الحديثة، أو ماهو باقٍ على أصله بالطين. واعتمدت الدراسة التوثيق بالتصوير الفوتوغرافي والرقمي والرفع المساحي.

Adobe Mosques of Addiriyah: A Documentary Survey

Dr. Mansour Abdulaziz Al-Jadeed

This research presents a theoretical and field study that seeks to shed light on a form of architectural heritage in the Kingdom of Saudi Arabia, as seen in traditional mosque architecture in the region of Najd, and particularly in the town of Addiriyahthat is distinguished by many historic mosques built across the Islamic ages. The study seeks to make an inventory of those that were built of mud brick, including those that were destroyed during the attack of Ibrahim Pasha and were never rebuilt, as well as those that were rebuilt using modern materials or were left as they were in mud brick. Research tools used included photography, digital imagery and architectural surveying.

قدم للنشر في ١٤٣٨/٨/٢٨هـ، وقبل للنشر في ١٤٣٨/١٢/٢٦هـ

Department of Architecture and Building Science - College of Architecture and Planning - King Saud University

قسم العمارة وعلوم البناء - كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك سعود

aljadeed@ksu.edu.sa





لـقـد تحـقق خلال الـنـصف الأخـيـر من الـقـرن المـيلادي المنصرم تطور تقني هائل في وسائل المواصلات والاتصالات أدى إلى إنتاج عمراني ضخم ومتنوع اجتاح العالم بأسره كنمط عالمي مهيمن ومسيطر، ولم تكن المنطقة العربية عامة ومنطقة الخليج خاصة بمعزل عن هذا التأثير. فقد أسهمت العوائد النفطية الضخمة في ظهور طفرة اقتصادية عارمة أدت إلى اتساع المدن بشكل متسارع وازدياد معدل النمو السكاني بشكل هائل، كما أدت إلى تدفق منتجات الدول الصناعية من سلع وأغذية ومواد بناء وأنظمة وتشريعات عمرانية، إلى غير ذلك من المظاهر التي تعدَّى تأثيرها المدن الكبيرة إلى القرى والأرياف. وقد كان من ثمار تلك الطفرة ظهور العديد من الأنماط والأشكال العمرانية التي لا تتوافق مع طبيعة المجتمعات المحلية وخصائصها الثقافية والاجتماعية ناهيك عن ظروفها المناخية وبيئتها الطبيعية. كما أخذت الآلة دورها في تغيير ملامح المدن القديمة منها والجديدة مما تسبب في آثار سلبية متعددة وفقدان لنماذج تراثية معمارية وعمرانية مستدامة توارثتها الأجيال في التعامل الذكي مع البيئة ومواردها ومحدداتها.

ولقد أزيلت العديد من النماذج التراثية المميزة في الكثير من مناطق المملكة عن طريق الملاك والعديد من الأطراف ذوي العلاقة بحجة التطور والتوسع. وأصبحت مشكلة الحفاظ على التراث العمراني مشكلة مركبة وذلك حينما قامت البلديات نفسها في كثير من الأحيان بإزالة هذا التراث والتعدي عليه أو التشجيع على ذلك لأسباب تنظيمية وجمالية

وأخرى متعلقة بالأمن والسلامة، وهنا تكمن الخطورة عندما تصبح الجهة التي ينتظر منها صيانة التراث والحفاظ عليه واستثماره لتكون هي أداة الهدم ومعول الإزالة[١].

والحقيقة أن العمارة التقليدية شاهد صدق على مدى تطور المجتمعات ونهوضها؛ وذلك لصلتها الوثيقة بحياة الناس، وأساليب معيشتهم، ومعتقداتهم الدينية، وأعرافهم الاجتماعية، وأوضاعهم الاقتصادية والسياسية. وقد حرص الإنسان منذ القدم على تشييد المسكن الذي يُؤويه والمنشآت المختلفة التي يزاول فيها أنشطته المختلفة كالمساجد وغيرها مدفوعًا برغبة فطرية للمحافظة على نفسه وممتلكاته، وأداء شعائره وعباداته، والقيام بوظائفه واحتياجاته. فالعمارة ليست عملاً عارضًا تمليه الصدفة، وإنما هي ضرورة ملحة تمليها الفطرة، ووسطٌ أمينٌ تدعو إليه الحاجة. وعلى الرغم من أهمية العمارة التقليدية بالمملكة في رسم عمارة الحاضر والمستقبل إلا أنها واجهت ومازالت تواجه مخاطر متعددة تسعى بشكل مباشر أو غير مباشر لمحو آثارها وطمس معالمها رغم ما تحمله من كنوز جديرة بالدراسة والاهتمام[٢]. ومدينة الدرعية رغم ما تتمتع به من أهمية تاريخية وما تحظى به من تراث عمراني ومعماري أصيل، إلا أنها لم تسلم مما لحق





(١) السواط، علي بن محمد، دور البلديات في الحفاظ على التراث العمراني في المملكة، **مجلد ندوة التراث العمراني الوطني**، الهيئة العليا للسياحة، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٢) الجديد، منصور بن عبدالعزيز، **المساجد التقليدية بحي الطريف التاريخي بالدرعية: دراسة معمارية توثيقية**، مركز بحوث كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

بالتراث العمراني في المملكة من فقدان وخسارة. ولعل في جهود الهيئة العُليا لتطوير مدينة الرياض خلال العقدين الماضيين ما يبشر باستدراك ما يمكن استدراكه من تراث الدرعية ليس فقط في حي البجيري وحي الطريف التاريخيين بل في عموم الدرعية بأحيائها الأخرى كالظهرة وسمحان وغصيبة والعودة والعلب وعناصر التراث العمراني الأخرى من قلاع وحصون وأسوار ومزارع وأبار وغيرها.

وتتميز الدرعية بوجود عدد كبير من المساجد التاريخية، إلا أن عدم كفاية العناية بها في ظلِّ التنمية العمرانية السريعة التي مرت بها المملكة العربية السعودية خلال العقود الأربعة الماضية وما صاحبها من تطبيق سياسات غير مقننة، أدى إلى هدم بعض المساجد التاريخية وبناء مساجد حديثة مكانها أو ترك المساجد التاريخية والانتقال إلى مساجد حديثة أخرى مما أدى إلى تهدم العديد منها، بالإضافة إلى إغفال الأبعاد الدينية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والمعمارية التي تتميز بها[٣].

ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نمط من أنماط التراث العمراني في المملكة متمثلاً في العمارة التقليدية للمساجد في منطقة نجد، وذلك من خلال التركيز على المساجد الطينية الموجودة بمدينة الدرعية.

---

(٣) الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني. **برنامج ترميم وتأهيل المساجد التاريخية في الدرعية**، الرياض، (بدون تاريخ).

هدف وأهمية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى حصر كافة المساجد التراثية التي شيدت في أصلها بمادة الطين في مدينة الدرعية، سواء في ذلك ما هُدِمَ خلال حملة إبراهيم باشا وبقيت حالته تلك، أو ما تم إعادة عمارته بالمواد الحديثة، أو ما هو باق على أصل بنائه بالطين. ويشمل ذلك التعريف بتلك المساجد الطينية وبيان مواقعها في أحياء مدينة الدرعية التراثية أو على ضفاف وادي حنيفة بالقرب منها. كما تهدف الدراسة إلى بيان عناصر المساجد الطينية التي لا تزال قائمة من واقع الرفع المساحي الذي أُجريَ لتلك المساجد. وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تلقي الضوء على تلك المساجد التقليدية التي ينبغي صيانتها والمحافظة عليها وتوظيفها ضمن البرامج التطويرية التي بدأتها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض من خلال برنامج تطوير الدرعية، وكذلك برامج التأهيل والترميم التي تقوم عليها الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة في تحقيق هدفها على منهجية تمثلت فيما يلي:

١- جمع المعلومات من خلال البحث النظري ودراسة أدبيات الموضوع، وكذلك من خلال البحث الميداني الذي تمثل في العديد من الزيارات لمنطقة الدراسة والالتقاء بكبار السن من أهالي الدرعية ومن تبقى من أساتذة البناء القدامى فيها.



٢- حصر كافة المساجد الطينية الموجودة في أحياء الدرعية التراثية ومحيطها العمراني مما يقع جغرافيًا ضمن حدود مدينة الدرعية من مشارف بلدة عرقة جنوبًا إلى سد العلب شمالاً، والقيام بأعمال التوثيق لها من خلال التصوير الفوتوغرافي والرقمي، والرفع المساحي.

٣- الوصف والتحليل لحالات الدراسة المختلفة، ثُمَّ الخروج بالنتائج والتوصيات.

أدبيات الدراسة:

تحظى الدرعية بأهمية وطنية خاصة، فهي العاصمة الأولى للدولة السعودية ومهد الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -. كما أنها تتميز بالعديد من الخصائص البيئية والتاريخية والعمرانية، فهي تمتلك موقعًا بيئيًا مميزًا على ضفاف وادي حنيفة بالقرب من العديد من المشاريع والقطاعات الحيوية بمدينة الرياض، كما أنها شهدت أحداثًا تاريخية مهمة كان لها أثرها العميق في مسيرة الوطن، وهي كذلك تحظى بتراث عمراني معماري أصيل ومتنوع لعمارة الواحات في شبه الجزيرة العربية. وقد أولت الهيئة العُليا لتطوير مدينة الرياض خلال العقدين الماضيين مدينة الدرعية اهتمامًا خاصًا؛ إدراكًا منها لما تحمله هذه المدينة من مقومات متعددة. وقد أنهت الهيئة العُليا قبل بضع سنوات تنفيذ برنامج تطوير وادي حنيفة الذي يخترق الدرعية من شمالها إلى جنوبها، كما افتتحت مشروع حي البجيري، ولا يزال العمل جاريًا على تطوير حي

الطريف التاريخي المتوقع افتتاحه العام القادم بمشيئة الله. ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الهيئة وما تبع ذلك من مشاريع ونشر لبعض الدراسات إلا أن الدرعية تستحق المزيد من الجهود ليس بدافع العاطفة فقط تجاه هذه المدينة الواعدة، وإنما انطلاقًا مما تحمله من مقومات بيئية واقتصادية واجتماعية وعمرانية وثقافية وتاريخية خاصة قد حان الوقت لاستثمارها على كافة المستويات.

وعلى الرغم من أهمية الدرعية وتراثها العمراني، إلا أن معظم ما كتب عنها قد ارتبط بالنواحي التاريخية، سواء من حيث نشأة الدرعية[٤] أو تأسيس الدولة السعودية الأولى وتوسعها[٥]، أو عن تاريخ البلاد السعودية في عهد كل إمام من أئمة الدولة السعودية الأولى[٦]، أو عن حملات

(٤) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (٧٠٠-١٣٤٠هـ)**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (بدون تاريخ).

(٥) العريني، عبدالرحمن بن علي. **الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى**. الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة. الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. أبو علية، عبدالفتاح حسن. **محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى**، الطبعة الثانية. دار المريخ للنشر الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم. **الدولة السعودية الأولى**. الجزء الأول، الطبعة السادسة. دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٦) العجلاني، منير. **تاريخ البلاد السعودية - الدولة السعودية الأولى** - الأجزاء ١-٤، الطبعة الثانية، دار الشبل، الرياض، (١٤١٤هـ). ابن بشر، عثمان بن عبدالله، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.





محمد علي باشا عليها[٧] أو عن سقوط الدرعية[٨]. كما وُجِدَ العديد من المصادر التي ورد فيها الحديث عن الدرعية كمنطلق لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والحياة العلمية في عصره[٩]، وتلامذته ومؤلفاته[١٠]. كما وُجِدَ بعض المصادر التي تحدثت عن الدرعية وبعض النواحي الجغرافية المتعلقة بها[١١]، أو الظروف السياسية والدينية والفكرية المحيطة بالدرعية في القرن الثامن

(٧) مانجان، فيلكس. **تاريخ مصر في عهد محمد علي، عرض الحوادث التاريخية والعسكرية منذ جلاء الفرنسيين وحتى عام ١٨٢٣م**. ترجمة محمد خير محمود البقاعي بعنوان **تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية**. دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٨) القحطاني، فاطمة بنت حسين. **حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها** (١٢٣١-١٢٣٣هـ/ ١٨١٦-١٨١٨م). دارة الملك عبدالعزيز، سلسلة الرسائل الجامعية - (٣٥)، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٩) ابن قاسم، عبدالرحمن بن محمد. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، المجلد التاسع، الجزء الحادي عشر، ص ٣١، الطبعة الأولى، مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ١٣٨٨هـ. العيسى، مي عبدالعزيز. **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٧هـ.

(١٠) الرومي، عبدالعزيز وآخرون. **مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، اثنا عشر مجلداً. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض (بدون تاريخ).

(١١) ابن خميس، عبدالله بن محمد. **الدرعية العاصمة الأولى**. الطبعة الثانية. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٢هـ. الفقير، بدر بن عادل. **تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، دراسة تحليلية في الجغرافيا الحضرية**. دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

عشر[١٢]. كما وردت بعض الإشارات المقتضبة عن الدرعية في كتب بعض الرحالة الغربيين[١٣]، أو ما كتب ودوّن من روايات عن رحلاتهم[١٤].

إلا أن ما كتب عن عمارة الدرعية وتراثها العمراني لا يزال في حكم النادر إذا استثنينا بعض الدراسات الاستشارية التي قدمتها بعض المكاتب الاستشارية في فترة مبكرة بخصوص ترميم بعض الآثار والمعالم كقصور حي الطريف التاريخي بالدرعية[١٥]، أو بعض الإشارات المقتضبة في النشرات

(١٢) قاسم، عبدالحكيم عبدالغني. **الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

(١٣) سادلير، جورج فورستر. **رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م**، ترجمة أنس الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م. السنيدي، صالح بن محمد. **رحّالة إسباني في الجزيرة العربية**. دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٩هـ.

(١٤) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني. **روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية**، الجزء الأول (١٥٠٠-١٨٤٠م) الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣م. أبو قايد، أحلام بنت علي. **الدولة السعودية الأولى من خلال كتابات الرحالة والمستشرقين البريطانيين، عرض وتحليل ونقد (١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ.

(١٥) كاظم، كمال عاكف، **مسجد وسبالة موضي- حي الطريف بالدرعية**، المكتب السعودي للاستشارات الهندسية، كارل مانهاردت، ميشيل أمريكويسبح، الرياض ١٤٠٩هـ.

Emrick, M. and Meinhardt, C. *The Reconstruction of Traditional Structures in Al-Turaif Quarter - Dir'iyah, Saudi Arabia. Proceedings of the 6th International Conference on the Conservation of Earthen Architecture.* Las Cruces, New Mexico, USA. October, 1990.





الإعلامية والأدلة الإرشادية، أو في ثنايا بعض الكتب التي تحدثت عن التراث العمراني في المملكة بشكل عام [١٦]، أو عن العمارة والعمران في المنطقة الوسطى من المملكة[١٧]، أو عن الدرعية بشكل عام[١٨] أو عن برنامج تطويرها[١٩] أو عن بعض المشاريع الجديدة فيها التي قامت عليها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض كمشروع البجيري[٢٠]. وبالرغم من ندرة ما كتب عن عمارة الدرعية وتراثها العمراني بشكل متخصص إلا أنه وجدت بعض الدراسات المحدودة عن الحفاظ على تراث الدرعية العمراني[٢١]، كما وجدت بعض الرسائل

(١٦) وزارة الشؤون البلدية والقروية. **التراث العمراني في المملكة العربية السعودية**. الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

Rifai, Wahbi Al-Hariri, and Rifai, Mokhless Al-Hariri, *The Heritage of The Kingdom of Saudi Arabia.* GDG Publications, Washington, D.C., 1990.

(17) Albini, M. *Traditional Architecture in Saudi Arabia - The Central Region.* The Department of Antiquities and Museums, Ministry of Education, Riyadh 1990. Mousalli, M., Mandily, O. and Shaker, F. *An Introduction to Urban Patterns in Saudi Arabia - The Central Region.* Art and Archaeology Research Papers, London, 1977.

(١٨) فيسي، وليام، **الدرعية والدولة السعودية الأولى**، مؤسسة التراث، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٩) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. **الدرعية أصالة الماضي وإشراقة الحاضر**. برنامج تطوير الدرعية التاريخية. الرياض، ١٤٢٩هـ.

(٢٠) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. **البجيري قلب الدعوة**. الرياض، ١٤٢٩هـ.

(٢١) الجديد، منصور بن عبدالعزيز."تجربة في تعليم التراث العمراني من خلال التدريب الصيفي للطلاب: حي البجيري بالدرعية حالة دراسية"، **سجلات المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني في الدول الإسلامية**، ص١٦٧٧-١٧٢٠، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، ١٤٣٢هـ.

الجامعية عن إعادة استخدام بعض القصور التاريخية في الدرعية[٢٢].

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لعمارة الدرعية وتراثها العمراني بشكل عام، فلا شك أن ما كتب عن عمارة المساجد التراثية في المملكة عمومًا وفي منطقة نجد والدرعية خصوصًا يُعَدُّ محدودًا جدًا، وقد وقفنا في هذا الشأن على كتاب المساجد التاريخية للمملكة العربية السعودية[٢٣]. قدم فيه مؤلفه وصفًا مختصرًا لبعض المساجد التاريخية في المناطق المختلفة بالمملكة ومنها بعض المساجد في منطقة نجد. كما وقفنا على رسالة ماجستير تطرقت للحديث عن مساجد أثرية من وسط نجد[٢٤]، ورسالة أخرى عن عمارة المساجد في سياق الحديث عن العوامل المؤثرة على تكوين العمارة التقليدية في منطقة القصيم[٢٥]. أما ما يخص الدرعية وعمارة المساجد فيها فقد وجد دراسة معمارية

(22) Al-Saud, Nouf Bint Mohammad Bin Fahad Bin Abdul Aziz. *New Uses of Old Structures: A Study of the Palaces of Al-Dir'iyyah. Unpublished Master Degree*, King Faisal University. Dammam, 2002.

(23) King, G, *The Historical Mosques of Saudi Arabia,* Longman, London, 1986.

(٢٤) الشويش، سعود فهد، **مساجد أثرية من وسط نجد، دراسة أثرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٢٥) المشيقح، عبدالسلام بن محمد، **العوامل المؤثرة على تكوين العمارة التقليدية في منطقة القصيم**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٣هـ.





توثيقية عن المساجد التقليدية بحي الطريف التاريخي بالدرعية[٢٦] وأخرى قد اختصت بدراسة الوضع الراهن لمسجد وسبالة موضي بمحافظة الدرعية[٢٧].

والحقيقة أنه رغم تلك الجهود المحدودة والمبعثرة هنا وهناك إلا أنها لا تتوازى مع أهمية التراث العمراني للدرعية وعمارة المساجد فيها. فمساجد الدرعية التاريخية، والتي أشار بعض الباحثين أن عددها بلغ بضعًا وعشرين مسجدًا[٢٨]، كانت مركز ضياء ومنارات هدى تخرج منها العديد من مشاهير علماء نجد، بل إن مسجدًا كمسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان يمثل أول جامعة خرجت العلماء في نجد. ومن هنا تأتي هذه الدراسة التي تلقي الضوء على مساجد الدرعية التراثية وتعرف بها وتشير إلى ما ينبغي أن تحظى به هذه المساجد اليوم من المزيد من الاهتمام والدراسة والفحص والمتابعة والتوثيق، ليس من منطلق التغني بالماضي وإنما انطلاقًا من الحاجة الملحة لصيانتها والمحافظة عليها استجابة لتعاليم الدين الحنيف في هذا الشأن والعمل على استثمار تلك المساجد في تقديم رسالة الدرعية من خلال البرامج الثقافية والسياحية وذلك بما يتناسب وخصوصية تلك المساجد وقدسيتها.

(٢٦) الجديد، ١٤٣٠هـ، مرجع سابق.

(٢٧) عبدالناصر الزهراني، دراسة الوضع الراهن لمبنى مسجد وسبالة موضي بمحافظة الدرعية، المملكة العربية السعودية. **مجلة جامعة الملك سعود م ٢٢**، العمارة والتخطيط (٢) ص٢٠٩-٢٤٧، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٢٨) فيسي، ١٤١٩هـ، مرجع سابق.

ومن هنا تبرز أهمية الاهتمام بالمساجد الطينية الموصوفة في هذه الدراسة لقدم تلك المساجد وحاجتها الماسة للرعاية والعناية كي تستمر في أداء رسالتها ضمن برنامج الدرعية التاريخية والذي توليه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض عناية خاصة. ولا شك أن ذلك الاهتمام سيكون له دور بارز في عمارة تلك المساجد ماديًا ومعنويًا وتفعيل استثمارها في البرامج التطويرية المراد تنفيذها في مدينة الدرعية الأثرية عاصمة الدولة السعودية الأولى ومهد الدعوة الإصلاحية.

فضل المساجد العتيقة:

اقتضت حكمة الله تعالى التفضيل لبعض الأشياء على بعض، ففضل الله بعض الرسل على بعض، وفضّل بعض الأيام على بعض، وفضل بعض الساعات على بعض وفضل بعض الليالي على بعض وفضل بعض الأماكن على بعض. ومن تلك الأماكن التي فضلها الله على غيرها المساجد التي تعتبر عمارتها والعناية بها من أفضل القرب وأجلّ الأعمال.. كيف لا وهي أحب البقاع إلى الله[٢٩]. ومما ورد في فضل المساجد العتيقة ما ذكره الإمام ابن تيمية في تفسير سورة الإخلاص من أن السلف كانوا يفضلون الصلاة في المسجد العتيق فقال - رحمه الله - ما نصه: "كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه مسجد الضرار ويرون العتيق أفضل من الجديد لأن العتيق أبعد من أن يكون بني ضرارًا من الجديد

(٢٩) الجديد، منصور بن عبدالعزيز."المسجد في الإسلام: حدوده وتأريخه وأبرز الضوابط الشرعية المتعلقة بعمارته"، **سجل بحوث ندوة عمارة المساجد**، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود. الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.





الذي يخاف ذلك فيه. وعتَق المسجد مما يحمد له، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [٣٠] قال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾[٣١]. فإن قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه أيضاً وذلك يقتضي زيادة فضله"[٣٢].

الدرعية وأحياؤها التراثية:

ترجع نشأة الدرعية إلى منتصف القرن التاسع الهجري، وتقع على ضفتي وادي حنيفة وذلك إلى الشمال من مدينة الرياض، حيث لا يفصلها عن مركز العاصمة الرياض سوى أقل من عشرين كيلومتراً، بل إن التوسع العمراني لمدينة الرياض بدأ يتصل بأطراف الدرعية. وقد احتفظت الدرعية باستقلاليتها حيث صنفت كمحافظة من فئة (أ) في نظام المناطق والمحافظات الصادر بموجب المرسوم الملكي رقم ١/ ٩٢ وتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٤١٢هـ وذلك لما تتميز به من مقومات تاريخية مهمة وما تحظى به من بيئة طبيعية مميزة تتمثل في وادي حنيفة الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ومزارع النخيل على حافتيه والهضاب المطلة عليه، هذا بخلاف موقعها الإستراتيجي بالقرب من بعض القطاعات الحيوية في الرياض كجامعة الملك سعود ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وحي السفارات والديوان الملكي ومجلس الشورى ومجلس التعاون الخليجي ومركز الملك عبدالله المالي إلى غير ذلك.

---

(٣٠) سورة الحج، آية ٣٣.

(٣١) سورة آل عمران، آية ٩٦.

(٣٢) ابن قاسم، عبدالرحمن بن محمد، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، الطبعة الأولى، دار عالم الطباعة، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

وقد كانت الدرعية إبان الدولة السعودية الأولى[٣٣] عبارة عن عدد من الأحياء التي تحيط بها أسوار وتحصينات فينقل العجلاني عن مانجان[٣٤] قوله إن الدرعية تتألف من خمس مدن (أو أحياء مستقلة) متجاورة يحيط بكل واحدة منها سور، وذكر من أسمائها الطريف والبجيري والغصيبي والسهل - واسمًا آخر محرفًا لم نتبينه -[٣٥]. والحقيقة أن تلك المحلات الخمس هي عبارة عن أحياء مستقلة ومتقاربة محاط كل منها بسور ويجمعها سور الدرعية الشامل، والذي يبلغ طوله ما يقرب من عشرين كيلو مترًا. والطريف والبجيري حيّان معروفان حاليًا، إلا أنه يبدو أن هناك لبسًا أو تحريفًا فيما نقله العجلاني بخصوص الغصيبي فهو اسم لشعب معروف شمال الدرعية وليس هناك حي بهذا الاسم، وإنما حي غصيبة وهو معروف ويُعَدُّ من أقدم أحياء الدرعية. أما السهل فليس حيًا مستقلاً وإنما يمثل منطقة تجمُّع عدد من الأحياء المتجاورة. ولعل فيما أورده ابن بشر عند حديثه عن حوادث سنة ١٢٣٣هـ ما يشير إلى أبرز أحياء الدرعية خلال تلك الفترة على وجه أدق مما ذكره مانجان، إذ عاصر ابن بشر تلك الفترة، ولا تزال بعض تلك الأحياء تحمل تلك الأسماء إلى اليوم مثل الطريف والبجيري والمريح والظهرة وسمحان وغصيبة. يقول ابن بشر في وصفه لحروب

(٣٣) نشأت الدولة السعودية الأولى في الدرعية وكانت هي عاصمتها، وامتد نفوذها خلال الفترة ١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٨٨-١٨١٨م.

(٣٤) فيلكس مانجان مؤرخ فرنسي ألف عدة كتب عن مصر أيام محمد علي باشا وعن الجزيرة العربية.

(٣٥) العجلاني، ١٤١٤هـ، مرجع سابق.

الدرعية: "ووقع حرب وقتال شديد بين أهل السهل من أهل الدرعية وبين الروم، هذا وأهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريّح حافظين جهتهم ومنازلهم وعبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان في منزلهم بين البابين باب الظهرة وباب سمحان، فلما رأى عبدالله بن سعود البوار انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف، وترك مخيمه ومدافعه وثقله في موضعه ذلك"(٣٦). وقد أشار ابن بشر في هذا النص إلى عدد من أحياء الدرعية، فذكر منها أحياء البجيري والحوطة والنقيب والمريّح (ضمن منطقة السهل)، وحي الظهرة، ومنطقة سمحان (حيث كان معسكر الإمام عبدالله بن سعود) قبل انسحابه إلى حي الطريف وتحصنه فيه. وقد وردت إشارات متفرقة لبعض هذه الأحياء فيما دونه ابن بشر عند حديثه عن حروب الدرعية. كما وردت إشارات عدة إلى حي غصيبة، والحرب التي وقعت عليه وبعض المعارك التي حصلت بالقرب منه عند بداية حملة الباشا على الدرعية، ولم يورد ابن بشر ذكر حي غصيبة في النص المذكور سابقًا(٣٧)؛ وذلك لبعده النسبي عن بقية أحياء الدرعية الأخرى والتي وقع عليها القتال في ختام حملة الباشا على الدرعية.

---

(٣٦) ابن بشر، ١٤٠٢هـ، مرجع سابق.

(٣٧) إلا أن ابن بشر أورد ذكر حي غصيبة في عدة مواضع عند حديثه عن حروب الدرعية وحملة إبراهيم باشا عليها. فقد كان الحي يقع في شمال الدرعية حيث كانت بداية الهجوم قبل أن يتوجه الباشا إلى أحياء وسط الدرعية وجنوبها.

وهناك أحياء أخرى عُمِّرت بعد تدمير الدرعية على يد إبراهيم باشا ورحيله عنها في عام ١٢٣٤هـ. والغالب أن بعضها عُمِّرَت على أنقاض بعض تلك الأحياء القديمة خاصة في منطقة السهل. وقد انطمست آثار تلك الأحياء ولم يبق منها إلا القليل، وقام على أنقاضها نخيل ومزارع ومبان جديدة مثل حي الظويهرة وحي النقيب وحي ملوي وحي الحويطة، وهذه الأحياء تقع في الناحية الشرقية من الوادي مما يلي حي البجيري[٣٨]. وجميع هذه الأحياء كانت موجودة بمنطقة السهل، والتي يوجد فيها أيضًا حي السريحة وهو حي معروف حاليًا يقع إلى الغرب من حي البجيري، وقد أزيل غالبية هذا الحي ولم يبق منه إلا مسجده الطيني وبعض المساكن الطينية المحدودة المجاورة له. ولم أجد، فيما اطلعت عليه من مصادر، من أشار إلى وجود هذه الأحياء بهذه التسمية إبان الدولة السعودية الأولى. وقد أفادني بعض كبار السن من أهالي الدرعية بمعرفتهم بأحياء الظويهرة وملوي ضمن منطقة السهل إلى قبل نحو أربعين عامًا، وذلك بالإضافة إلى أحياء البجيري والمريّح والسريحة المعروفة حاليًا في هذه المنطقة وكذلك حي العودة وحي العلب شمال الدرعية في الطريق إلى سد العلب وبقاياهما لا تزال معروفة حتى اليوم.

مساجد الدرعية الطينية:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعرّف بالمساجد الطينية في أحياء الدرعية التراثية، ويأتي هذا العمل في ظل

(٣٨) ابن خميس، عبدالله بن محمد. **الدرعية العاصمة الأولى**. الطبعة الثانية. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٢هـ.



الجهود المستمرة التي يقوم بها الكثيرون من العمل على هدم المساجد الطينية الباقية بالدرعية والعمل على إعادة بنائها بالمواد الحديثة. وغالبًا ما يكون الدافع لمعظم أولئك حسن النية وطلب الأجر في الاهتمام ببيوت الله، وإن كان البعض، هدانا الله وإياهم، قد دفعه الجشع إلى ضم بعض تلك المساجد وما حولها إلى أملاكه الخاصة وحوّلها إلى مساجد خاصة بملكه وحجرها عليه بعد أن كانت على حافة ملكه وتخدم المارة والعابرين خاصة على حافتي وادي حنيفة، والبعض الآخر حاصروا بعض تلك المساجد بأسوار أملاكهم ومزارعهم ولم تعد ظاهرة للعيان كما كانت في السابق. وعلى أي حال، فقد غاب عن الجميع القيمة المعمارية والتاريخية لتلك المساجد خاصة في هذه المدينة التاريخية التي تشهد العديد من المشاريع الضخمة التي ترعاها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، مثل مشروع تطوير الدرعية التاريخية ومشروع الاهتمام بوادي حنيفة. ويمكن لهذه المساجد أن تسهم بدور فاعل في تقديم خدمة ضرورية يحتاج إليها مرتادو تلك المناطق من السائحين والزوار وغيرهم من حيث إقامة الصلوات وتجديد الوضوء واستماع الذكر وحضور حلقات العلم والمواعظ والتعرف على الدور الذي أسهمت به المساجد في حياة الناس في الماضي، بالإضافة إلى الاطلاع على الطراز المعماري لتلك المساجد والذي لم يختلف كثيرًا عن ما كانت عليه مساجد الدرعية إبّان ازدهارها وهذا ما تشهد به بقايا وآثار بعض المساجد في حيي غصيبة والطريف التاريخيين.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالمساجد الطينية التي لا تزال قائمة بأحياء بالدرعية التراثية. وقد لوحظ من خلال عملية المسح وجمع المعلومات في منطقة الدراسة، والتي تمتد من مشارف بلدة عرقة جنوبًا إلى سد العلب شمالاً، وجود بعض المساجد الطينية المهدمة التي لم يُنظر إعادة عمارتها في أحياء الدرعية المختلفة منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية، كما لوحظ وجود العديد من المساجد الحديثة التي بنيت بدلاً من بعض المساجد الطينية التي أزيلت. وسيتم وصف للمساجد الطينية المهدمة منذ حملة الباشا ولا تزال على حالها منذ تلك الفترة، وكذلك المساجد الطينية التي أزيلت وأعيدت عمارتها بالمواد الحديثة، وذلك قبل الشروع في الحديث عن المساجد الطينية التي لا تزال قائمة في أحياء الدرعية التراثية أو بين مزارعها.

مساجد الدرعية الطينية المهدمة التي لم يعاد عمارتها:

يوجد بالدرعية ثلاثة مساجد مهدمة منذ حملة إبراهيم باشا عليها ما بين عامي ١٢٣٣-١٢٣٤هـ/ ١٨١٨-١٨١٩م، ولم يُعَدْ بناؤها بعد ذلك. ويقع اثنان من هذه المساجد في حي الطريف التاريخي وهما مسجد الإمام محمد بن سعود، ومسجد سعد بن سعود، أما المسجد الثالث فيقع في حي غصيبة التاريخي. وفيما يلي وصف مختصر لأبرز تلك المساجد مرتبة حسب موقعها من جنوب الدرعية إلى شمالها:

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



مسجد الإمام محمد بن سعود:

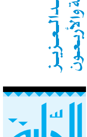
يقع هذا المسجد والذي يسمى أيضًا بجامع الطريف في الجزء الجنوبي الشرقي من حي الطريف التاريخي عند مدخل الحي، ويُعَدُّ الجامعَ الوحيد بالدرعية إبان الدولة السعودية الأولى. ولا تزال آثار الجدار الشمالي الشرقي والمبني بالحجارة المقصوصة (الطوي) ظاهرة للعيان. كما كُشف عن عناصر المسجد المختلفة من خلال أعمال الحفر والتنقيبات ضمن مشروع حي الطريف الذي تقوم عليه الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. وقد ذكر ابن بشر في تاريخه عند حديثه عن سيرة الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي تولى الإمامة بعد اغتيال أبيه في أثناء أدائه لصلاة العصر بمسجد الطريف في شهر رجب من سنة ١٢١٨هـ، ما نصه: "وأما الصلوات المكتوبة فكان يصليها في قصره، ويصلي معه فيه فئام من الناس إلا يوم الجمعة، فإنه يصلي مع الناس في مسجد الطريف، وهو المسجد الجامع تحت القصر شماله في موضع بناه فوق المحراب والمنبر هو وخاصة مماليكه واثنان أو ثلاثة من خواصه، وجعل على ذلك المصلى طريقًا من القصر يأتي من قبلة المسجد عند المحراب"[٣٩]. وقد كان حي الطريف آخر أحياء الدرعية سقوطًا في حروب إبراهيم باشا على الدرعية. فقد احتل الباشا موقع الإمام عبدالله بن سعود في جبل سمحان بعد انسحابه منه إلى الطريف وتحصنه فيه. ويقول ابن بشر في هذا الشأن: "فلما رأى

(٣٩) ابن بشر، ١٤٠٢هـ، مرجع سابق.

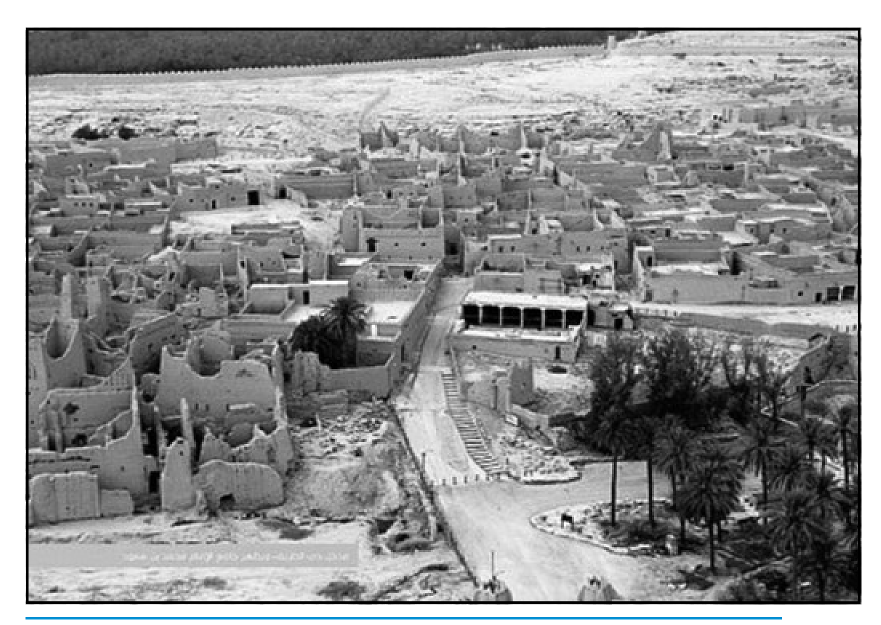
عبدالله بن سعود البوار انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف، وترك مخيمه ومدافعه وثقله في موضعه ذلك، ثم إن الباشا أقبل بقبوسه وقنابره ومدافعه ومن كان معه من العساكر ونزل منزل عبدالله ووجه قبوسه إلى باب الظهرة ورماها رميًا عظيمًا... ووقع الحرب الهايل على أهل الطريف من كل جهاته من جهة المغرب والمشرق وجهة الجنوب والشمال، فاستدار الروم عليه ووجه الباشا قبوسه وقنابره ومدافعه إليه فرماه من رأس جبل سمحان وثارت البنادق واشتعلت نارها من كل جهة وذلك بتدبير الذي كل يوم هو في شأن، فثلمت مقاصير آل سعود بالقبوس وخرقت... فأخرج عبدالله المدافع التي في القصر وجعلها في مسجد الطريف ورماهم بها، وانحاز إليه رجال كثير من أهل البجيري وأهل النواحي فوقع هذا الحرب نحو يومين، ثم تفرق عن عبدالله أكثر من كان عنده، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للروم وفدى بها عن النساء والولدان والأموال، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة، فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء"(٤٠). وقد هدم هذا المسجد في نهاية حملة الباشا وحصاره لحي الطريف شأنه في ذلك شأن بقية مساجد الدرعية ودورها وقصورها (الصورة ١).

وقد أقيم في فترة لاحقة على أنقاض هذا المسجد في الناحية الجنوبية الغربية منه مسجدٌ صغيرٌ بني أساسه وأعمدته وجدرانه بالحجارة وتم تسقيفه بأخشاب

(٤٠) ابن بشر، نفسه.



"المرابيع"(٤١)، وأضيفت طبقة أسمنتية على أرضيته كما جُصصت جدرانه. وقد قامت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مؤخرًا بترميم هذا الجزء من الجامع ضمن مشروع حي الطريف التاريخي الجاري تطويره والمتوقع افتتاحه العام المقبل بمشيئة الله. وقد كان جزء من أهالي الطريف يصلون في هذا المسجد الصغير الصلوات المفروضة ويؤمُّهم عبدالعزيز بن دخيل، إلى أن كان إخلاؤهم عن الحي في عام ١٤٠٠هـ بعد أن منحوا أراضيَ سكنية في مخطط الخالدية بالدرعية الجديدة وعُوِّضوا ماديًا عن مساكنهم في حي الطريف.



(٤١) "المرابيع" مصطلح محلي يطلق على نوع من الأخشاب الجيدة المستوردة وهي ذات مقطع مربع طول ضلعه حوالي ١٥سنتمترًا، وقد استخدمت في عمليات تسقيف المساكن وغيرها وذلك قبل انتشار استخدام الخرسانة المسلحة في أعمال التشييد بالمملكة، وقد كان السائد في عملية التسقيف في الماضي استخدام جذوع أشجار الأثل.




(الصورة ١)

لقطة تبين أطلال جامع الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - الذي يُعَدُّ الجامع الوحيد بالدرعية إبان الدولة السعودية الأولى، كما توضح المسجد الذي بني لاحقاً على الجزء الجنوبي الغربي من أنقاض الجامع بعد عودة الأهالي إلى الدرعية. وتبين اللقطتان السفليتان الجامع الجديد الذي بني باسم الإمام محمد بن سعود مقابل مبنى محافظة الدرعية (المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض).

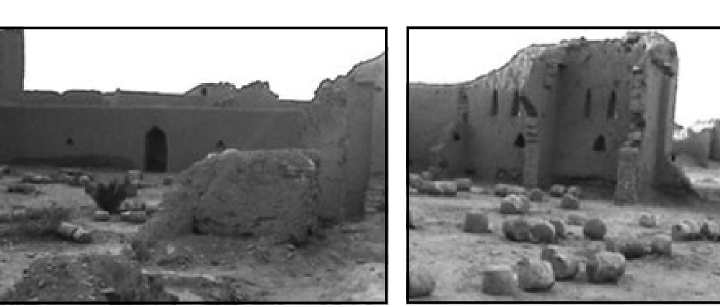
مسجد سعد بن سعود:

ينسب هذا المسجد للأمير سعد وهو أحد أبناء الإمام سعود بن عبدالعزيز(٤٢)، ويُعدُّ من أبرز أمراء الدولة السعودية الأولى، إذ بلغت في عهده أقصى اتساع لها. ويقع المسجد ملاصقًا لقصر الأمير سعد من الناحية الشمالية، وقد هُدِمَ إبان حملة إبراهيم باشا على الدرعية وحصارها وذلك في حوالي شعبان ١٢٣٤هـ/ يونيو ١٨١٩م حين احتل إبراهيم باشا الدرعية وأمر جنوده بتدميرها قبل خروجه من نجد. ولم يعمر هذا المسجد بعد هدمه وإنما كان تنظيفه من الأنقاض ضمن مشروع إعادة بناء قصر سعد من واقع ما تبقى من جدرانه، وذلك قبل ما يزيد على ثلاثين عامًا. وقد

(٤٢) حفيد الإمام محمد بن سعود المؤسس للدولة السعودية الأولى.



جرى في ذلك الحين الكشف عن أساسات أعمدة المسجد وإعادة بنائها إلى ارتفاع حوالي المتر كما رُفعت الأنقاض من محيطه وظهر المحراب في جداره الغربي، كما ظهرت المعالم المتبقية من جدرانه الخارجية من الناحيتين الشمالية والشرقية، كما برز مكان مدخله من الناحية الشرقية ثم فراغ الصحن السماوي المفتوح أو ما يطلق عليه محليًا "السرحة" إلى الغرب من المدخل، ويمكن ملاحظة موقع الدرج الذي يقود إلى سطح المسجد في جدار الصحن الشمالي من الداخل. وتقع قاعة الصلاة المسقوفة أو ما يطلق عليها محليًا "المصابيح" إلى الغرب من صحن المسجد ولا يفصلها عن المنازل المجاورة من الناحية الغربية سوى ممر ضيق يطل عليه جدار القبلة. وتتكون قاعة الصلاة من خمسة من الأروقة المشيدة على أعمدة تحمل عقودًا مثلثية (keel arch) كما هو ظاهر من بقايا جدار قاعة الصلاة في الناحية الشمالية الشرقية، ولم يتبق من معظم هذه الأروقة سوى قواعد أعمدتها (الصورة ٢).



(الصورة ٢)

لقطتان لبقايا مسجد الأمير سعد بن سعود في شمال حي الطريف التاريخي، يلاحظ في إحداهما محراب المسجد، ويلاحظ في الأخرى بقايا الأعمدة والعقود والكوات على الجدار الشمالي للمسجد وذلك بعد أعمال التنقيب وإزالة الأنقاض.

مسجد غصيبة:

يقع مسجد غصيبة في الجهة الغربية من حي غصيبة التاريخي، وهو أقدم أحياء الدرعية ويقع بدوره في شمال غرب الدرعية مفصولاً عن أحياء الدرعية التاريخية الأخرى، مثل: حي الطريف، حيث مقر الأسرة الحاكمة وحي البجيري، حيث كان إقامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأسرته وتلاميذه. ويشرف هذا المسجد، والذي لا يوجد بالحي آثار لمسجد سواه، مباشرة على الضفة الشرقية لوادي حنيفة وما زالت آثار ما تبقى منه ظاهرة للعيان خاصة محرابه وجدار القبلة من الخارج حيث بُنِيَا على مجموعة من المداميك الحجرية المبنية بحجارة جيرية مقصوصة بشكل شبه منتظم أو ما يطلق عليه "الطوي" وتعلوها حوائط من الطوب الطيني المجفف بالشمس أو ما يطلق عليه "اللبن" (الصورة ٣). ولم يحظ هذا المسجد بأي أعمال حفريات أو كشف فهو باقي على الحال التي تم تهديمه عليها إبان حملة الباشا على الدرعية، وشأنه في ذلك شأن كافة الحي الذي لم يتم فيه سوى الكشف عن سوره. ويمكن تبين حدود جدران المسجد الخارجية من الجهات الثلاث: الجنوبية والغربية والشمالية، أما جداره الشرقي فهو مندرس مع بقايا المناطق المجاورة ولا يمكن تمييزه بسهولة. أما مكونات المسجد الداخلية فلا يمكن الجزم فيها بشيء لكونها لا تزال مطمورة تحت الأنقاض إلا أنه يمكن ملاحظة أن الأجزاء الشرقية من المسجد تدل على وجود صحن سماوي مكشوف يقع إلى الغرب منه عدد



محدود وغير معلوم من الأروقة المطمورة والتي تمثل قاعة الصلاة المغطاة التي تحوي محرابًا ذا مسقط نصف دائري يمكن رؤيته بوضوح من خلال جدار القبلة الخارجي المطل على الوادي. والحقيقة أن هذا المسجد يحظى بموقع مميز على وادي حنيفة وضمن منطقة تاريخية، أصبحت محاصرة ومهددة بالأملاك الخاصة التي أحاطت بها وجعلت من الصعوبة الوصول والاهتداء إليها، وهو بهذا يقف معلمًا تاريخيًا واضحًا يسهل التعرف عليه ويمكن استثماره في الدلالة على تلك المنطقة وتوظيفها ضمن برامج تطوير الدرعية وبرنامج تطوير وادي حنيفة.




(الصورة ٣)

لقطتان لبقايا مسجد غصيبة الواقع في الجزء الغربي من حي غصيبة التاريخي مطلاً بشكل مباشر على وادي حنيفة، ويلاحظ استخدام الأحجار المقصوصة بشكل شبه منتظم أو ما يطلق عليه "الطوي" في أسفل جدرانه.

مساجد الدرعية الطينية التي أعيد بناؤها بالمواد الحديثة:

نظرًا لفضل العناية بالمساجد ومواكبة للنهضة العمرانية التي مرت بها المملكة خلال العقود القليلة الماضية، فقد قام العديد من المحسنين بهدم العديد من الجوامع والمساجد

الطينية في مختلف الأحياء وإعادة بنائها بالخرسانة المسلحة وذلك خلال سنوات الطفرة الاقتصادية التي مرت بها البلاد في السبعينيات والثمانينيات الميلادية. وفيما يلي وصف مختصر لأبرز تلك الجوامع ثم المساجد مرتبة حسب موقعها من جنوب الدرعية إلى شمالها:

جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

وهو أحد المساجد الجامعة القائمة في الدرعية في الوقت الراهن(٤٣)، وإن كان يبدو أنه لم يكن جامعًا وقت الدولة السعودية الأولى كما تشير إلى ذلك بعض النصوص والتي منها ما ذكره ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٤هـ ما نصه: "كان الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو القاضي في بلد الدرعية والخليفة بعد أبيه في القضاء والإمامة والخطبة، وكان إمامًا في مسجد البجيري الكبير الذي في منازل الدرعية الشرقية، وكان صيتًا بحيث إنه يسمع تكبيره في الصلاة في أدنى المسجد وأقصاه مع كثرة ما فيه من الخلايق، وهو الخطيب والإمام يوم الجمعة في مسجد الجامع، مسجد الطريف الكبير الذي تحت قصر آل

(٤٣) لقد كان مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو الجامع الوحيد بالدرعية بعد إعادة إعماره من قبل الأهالي بعد جلاء الباشا وقواته، واستمر الوضع كذلك إلى قبل نحو خمسة عقود. وقد حدثني أحد الأهالي ممن شارك في التعداد السكاني عام ١٣٩٥هـ وذكر بأن إجمالي سكان الدرعية في وقتها حوالي ٣٥٠٠ نسمة شاملاً النساء والأطفال والذين لا تلزمهم صلاة الجمعة. إلا أنه قد زاد عدد السكان بشكل كبير بعد ذلك مما استدعى التوسع في عدد المساجد الجامعة ليبلغ عددها حاليًا حوالي عشرة جوامع.





سعود في المنازل الغربية، وكان ضرير البصر، ووفاته في شهر ربيع الآخر"[٤٤]. ويقع الجامع في حي البجيري حيث كان سكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأسرته وتلامذته وذلك في مقابل حي الطريف التاريخي على الضفة الأخرى لوادي حنيفة. وترجع نشأته إلى فترة مبكرة أيام الدولة السعودية الأولى وقد بني المسجد حينها بالطين وشيد أساسه من الحجر وفق الأسلوب المعتاد لبناء المساجد في منطقة نجد.

وقد كان ملحقًا بمسجد الشيخ مدرسته أو ما أسماه البعض مجمعًا دراسيا يتسع لمائتي رجل، وخصص فيه جزء للنساء[٤٥]. ويبدأ النشاط العلمي بعد صلاة الفجر فيدخلون هذا المجمع وكان "فيه معاميل[٤٦]، وقهوة وما نابها[٤٧] مقيوم به[٤٨] من بيت المال[٤٩]، وقد كان يدرّس به أبناء الشيخ حسين وعبدالله وعلي. وقد هدم هذا المسجد في نهاية حملة إبراهيم باشا على الدرعية شأنه شأن مساجد الدرعية الأخرى ودورها وقصورها. وقد أعيد بناء المسجد بعد رحيل الباشا وعودة أهالي الدرعية إليها على أنقاض المسجد السابق وبنفس أسلوب البناء الطيني المعتاد في نجد. وقد كان

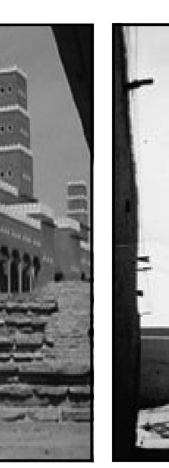
(٤٤) ابن بشر، ١٤٠٢هـ، مرجع سابق.
(٤٥) العيسى، ١٤١٧هـ، مرجع سابق.
(٤٦) أدوات تحضير القهوة ونحوها.
(٤٧) أي ما تستلزمه من حاجات ومتطلبات.
(٤٨) أي متكفل به.
(٤٩) ابن قاسم، ١٣٨٨هـ، مرجع سابق. العريني، ١٤١٩هـ، مرجع سابق.

يحتوي الجامع على مصلّى داخلي عبارة عن عدد من المصابيح أو ما يسمى الظلة بالإضافة إلى سرحة خارجية وخلوة كبيرة نسبيًا تصل مساحتها إلى نحو ١٢٠٠ مترٍ مربعٍ، ومحراب في وسط جدار القبلة ومئذنة.

وقد أعيد بناء هذا الجامع بالخرسانة المسلحة قبل نحو خمسين عامًا، ويُعَدُّ أول مساجد الدرعية التي أعيد بناؤها بالخرسانة المسلحة والمواد الحديثة (الصورة ٤). وقد استمر الوضع على ذلك حتى أعيد بناؤه مرة أخرى بالمواد الحديثة سنة ١٤٢٤هـ وذلك على نفقة خادم الحرمين الملك فهد رحمه الله، وقد أضيف إليه بعض المرافق وسكن للإمام والمؤذن إلى الجنوب منه. وقد تمت خلال السنوات القليلة الماضية بعض التعديلات على البناء الحديث لهذا الجامع حيث تم إزالة منارات المسجد وبعض الأعمال الخارجية المحيطة به وكذلك بعض التشطيبات الداخلية للمسجد، كما أزيل بيتا الإمام والمؤذن اللذان بنيا معه.

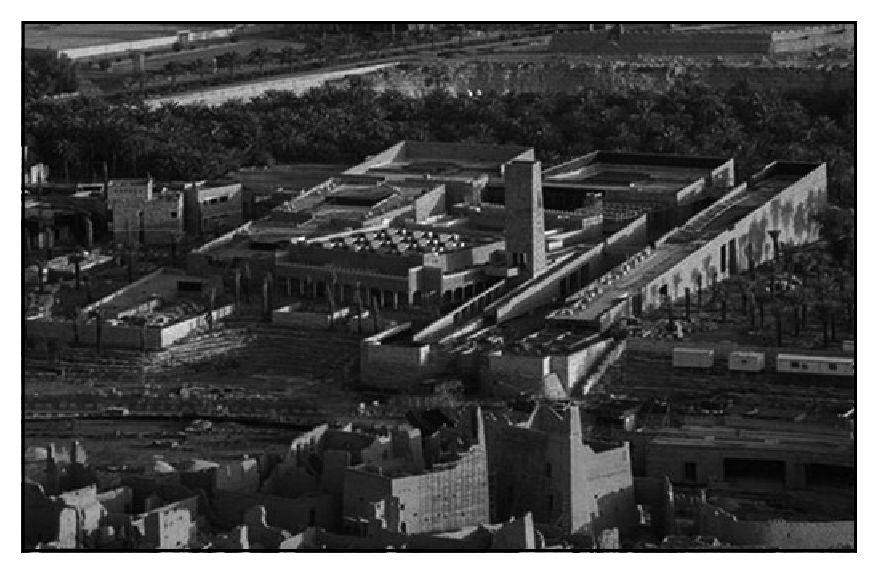
وقد عُملت بعض أعمال التطوير للمسجد ومحيطه حيث شيدت مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الثقافية التي أحاطت بالمسجد واحتضنته من كافة جهاته إلا جهة القبلة التي يطل بها على وادي حنيفة قبالة مدخل حي الطريف التاريخي. وقد أُنجزَت تلك الأعمال ضمن مشروع تطوير حي البجيري والذي رعى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفل افتتاحه يوم الخميس ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٤٣٦هـ (الصورة ٥).

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون
الدارة




(الصورة ٤)

لقطتان لمسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -، تبين إحداهما صورة قديمة لمنارة مسجد الشيخ عند أول بناء له بالخرسانة، وتبين الأخرى وضع المسجد بعد إعادة بنائه بالمواد الحديثة سنة ١٤٢٤هـ.



(الصورة ٥)

تبين اللقطة احتضان مؤسسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للجامع بعد تطويره ضمن مشروع البجيري. (المصدر: الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض)

جامع سمحان:

هو المسجد الجامع لأحياء سمحان والظهرة والروقية، وقد كان يتوسط حي سمحان ويقع إلى الغرب من ساحة مكشوفة مازالت تستخدم إلى الآن كسوق مفتوحة. وقد كان أصل هذا المسجد مبنيًا من الطين وكان يتألف من عدد من الأروقة ذات العقود المثلثة وصحن مكشوف محدود المساحة بالإضافة إلى خلوة مغلقة محفور جزء منها في الأرض، وذلك في الناحية الشرقية من المسجد، وتطل بعدد محدود من النوافذ الصغيرة على الصحن المكشوف. وقد كانت تلك الخلوة تستخدم للصلاة في أيام البرد خاصة صلوات المغرب والعشاء والفجر في حين يستخدم سطحها لصلاتي الظهر والعصر في الشتاء، ولصلوات المغرب والعشاء والفجر في أوقات الصيف. وقد كانت هناك مئذنة مربعة الشكل لهذا الجامع وذلك في ركنه الشمالي الشرقي تشرف على الساحة المكشوفة شرق الجامع. وقد قام الشيخ ابن فارس قبل ما يزيد على ثلاثين عامًا بالبدء بإعادة بناء هذا المسجد بالخرسانة والمواد الحديثة، وقد كان هناك انحراف بسيط في قبلته الأصلية باتجاه الشمال وعدِّلَ ذلك عند البدء في إعادة بنائه بالمواد الحديثة. وفي عام ١٤٢٥هـ؛ شُرِعَ في إعادة بناء المسجد للمرة الثانية بالمواد الحديثة وأُنجِزَ ذلك في عام ١٤٢٦هـ.

جامع العودة:

وينسب هذا المسجد إلى حي العودة بالدرعية الواقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة في الطريق الموصل إلى سد





العلب بالدرعية. ويقع هذا المسجد في وسط الحي، ويُعَدُّ الجامع لأهل هذا الحي ولا يوجد في الحي مسجد سواه. وقد كان أصل هذا المسجد مبنيًا بالطين على هيئة عدة أروقة مشكَّلة بعقود مثلثة من الحجارة وترتكز على أعمدة حجرية كما هو العادة في بناء المساجد التقليدية في منطقة نجد. وقد كان لهذا المسجد مئذنة مربعة الشكل تقع فوق مدخله الجنوبي، في حين كان له مدخل آخر من الناحية الشرقية أما جداره الشمالي فقد كان ملتصقًا بالمساكن المجاورة. أما من الناحية الغربية فقد كان يطل المسجد بجدار مصمت فيه المحراب وذلك على ساحة صغيرة تفتح عليها مجموعة محدودة من المساكن. وقد كان يؤم هذا الجامع ويخطب فيه الشيخ عبدالعزيز السياري، وقد أعيد بناء هذا المسجد بالخرسانة والمواد الحديثة قبل ما يزيد على ثلاثين عامًا وأجريت به بعض التوسعات على سطحه لاستيعاب المصلين في صلاة الجمعة والقادمين من أحياء الدرعية الأخرى، وذلك من خلال قاعة شيدت بالحديد وألواح الصاج المموجة والتي عملت على تشويه الناحية البصرية للمسجد والمنطقة المحيطة. ورغم أن معظم المساكن الطينية الموجودة بالحي الذي كان يسكنه الأهالي أصبحت الآن إما مهدمة أو تالفة أو أعيد بناء بعضها بالمواد الحديثة، إلا أن هذا الجامع لا يزال معمورًا بالعمالة التي تقيم في بعض المساكن الصالحة للسكنى أو العابرين على الطريق الموصل لحي العلب ومنطقة السد.

جامع العلب:

وينسب هذا المسجد إلى حي العلب الواقع إلى الغرب من مجرى وادي حنيفة وبالقرب من السد والذي يسمى بسد العلب نسبة إلى هذا الحي الذي كان يقطنه مجموعة من أصحاب المزارع. وقد هُدِمَ مسجد العلب وأعيدَ بناؤه بالمواد الحديثة حوالي عام ١٤٠٠هـ وذلك بالتزامن مع بناء جامع الفصّام بوسط حي الخالدية بالدرعية الجديدة. ويخدم هذا الجامع ما تبقى من منازل طينية محدودة بحي العلب والتي تقيم فيها بعض العمالة وذلك بالإضافة إلى العاملين في بعض المزارع المجاورة والعابرين إلى منطقة السد حيث يتميز الجامع بموقعه المميز على الطريق الموصل للسد، وقد كان يؤم هذا الجامع ويخطب فيه الشيخ محمد بن غنام رحمه الله.

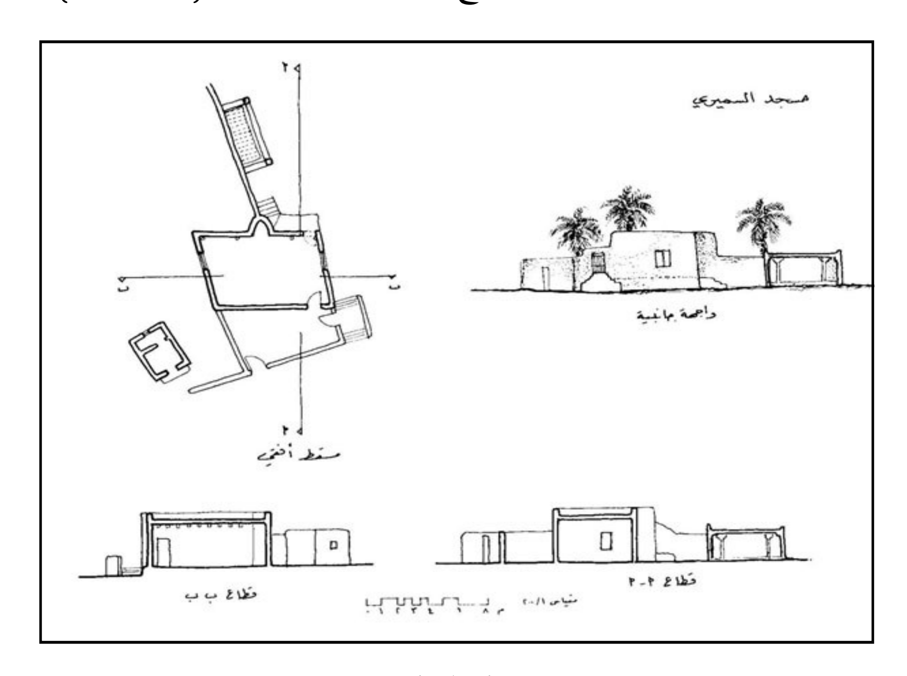
أما ما يتعلق بالمساجد غير الجامعة والتي كانت مشيدة بالطين في أحياء الدرعية القديمة وأعيد بناؤها بالخرسانة والمواد الحديثة فهي من جنوب الدرعية إلى شمالها على النحو التالي:

مسجد السميري:

وينسب هذا المسجد لمزرعة تحمل هذا الاسم تقع بالقرب من الجسر الرابط بين حافة الهضبة وفلل الزهور المشيدة عليها من جهة ومزارع النخيل من جهة أخرى وذلك إلى الجنوب الغربي مما كان يعرف سابقًا بطلعة النصرية، وقد كان طريقًا للمشاة والدواب يصل ما بين بطن الوادي ومستوى



الهضبة ومن ثم إلى الجادة الموصلة لمدينة الرياض. وقد كان هذا المسجد وإلى عام ١٤١٩هـ مشيدًا بمادة الطين ويطل مباشرة على الوادي ويوجد في الجهة الغربية منه مما يلي المحراب حوض ماء كان يستخدم للشرب والوضوء وهو ما كان يطلق عليه اسم "المدي"، وقد كان يخدم هذا المسجد وحوض الماء القريب منه أهالي المزرعة والمارة الذين يسيرون بالوادي (الشكل ١). إلا أن هذا المسجد هُدِمَ وأعيد بناؤه بالخرسانة والمواد الحديثة وأدخل وما حوله من منطقة المدي ضمن ملكية المزرعة المجاورة له وأصبح مسجدًا خاصًا لها (الصورة ٦).



(شكل ١)

الرسومات المعمارية من واقع الرفع المساحي لمسجد السميري الطيني (قبل إزالته وإعادة بنائه بالمواد الحديثة)، وكان المسجد يقع على مجرى وادي حنيفة مباشرة في جنوب الدرعية.



(الصورة ٦)

لقطة لمسجد السميري على مجرى وادي حنيفة وذلك قبل إزالته وإدخاله ضمن المزرعة المجاورة له ويظهر في قبلة المسجد في يمين الصورة حوض السقيا والوضوء أو ما يسمى "المدي" .

مسجد الطوالع:

وينسب هذا المسجد لمزرعة تحمل هذا الاسم تقع على امتداد الجسر الرابط بين حافة الهضبة وفلل الزهور المشيدة عليها من جهة ومزارع النخيل من جهة أخرى، حيث ينتهي الجسر بطريق زراعي يتجه إلى الشمال بموازاة وادي حنيفة ثم يخترق المزارع متجهًا إلى الغرب ويوجد المسجد على اليمين عند نقطة انعطاف هذا الطريق الزراعي إلى الجنوب الغربي. ويخدم المسجد المزارع المجاورة له، وقد كان إمام هذا المسجد هو صاحب مزرعة الطوالع نفسها ويعرف بمحمد بن دخيّل توفي، رحمه الله، قبل أكثر من عقدين من الزمان وقد كان معروفًا بالتقى والصلاح ومشهورًا بالقراءة على الناس للاستشفاء بالقرآن. وقد كان المسجد يتكون من صف من

الأعمدة الحجرية ورواقين مسقوفين وذلك بالإضافة إلى الصحن. وقد بني المسجد على أساس من الحجارة بمونة من الأسمنت بارتفاع حوالي ٦٠ سم، وشيدت عليه جدران اللبن، وقد سقفت قاعة الصلاة والأروقة بأخشاب المرابيع والتي ثبت فوقها ألواح خشبية ذات عرض يبلغ ٢٠ إلى ٢٥ سم تعرف بالطبق وهذا ما يشعر بأن هذا المسجد قد شيد أو أعيد بناؤه في فترة أحدث من غيره من المساجد المذكورة في هذه الدراسة، وذلك حينما توافرت الموصلات بشكل أكبر وتم استيراد هذه المواد من خارج المملكة وذلك قبل نحو ٥٠ عامًا. وعلى أي حال، فقد هدم هذا المسجد أثناء إعداد هذه الدراسة وأعيد بناؤه بالمواد الحديثة وذلك في نفس مكانه.

مسجد المريّح:

وينسب هذا المسجد لحي المريّح الواقع إلى الجنوب من مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحي البجيري، ولا يفصله عنه سوى إحدى المزارع. وقد كان هذا المسجد يتوسط مجموعة من المساكن المتداخلة مع بعض المزارع وخاصة من الناحية الغربية حيث يلتصق المسجد في الجزء الشمالي من واجهة القبلة بأحد المساكن الطينية. أما بقية جدار القبلة والواجهة الجنوبية للمسجد فتطل مباشرة على إحدى المزارع. أما من الناحية الشرقية فيطل المسجد على ساحة صغيرة تفصله عن المساكن المجاورة ويوجد مدخل للمسجد من هذه الجهة. أما من الناحية الشمالية فلا يفصل المسجد عن المنازل المجاورة سوى ممر ضيق سقف في الركن الشمالي

الغربي من المسجد بغرفة تابعة للمسكن المجاور مما ولد ما يعرف بالساباط أو المجبب وهو الجزء المغطى من الممر. وقد كان يؤم هذا المسجد الشيخ حمد بن سلطان، رحمه الله، أحد حفظة كتاب الله. وقد استمر سكنى هذا الحي إلى حوالي عام ١٤٠٠هـ حيث انتقل الأهالي إلى أحياء الدرعية الحديثة، وقد تسبب ذلك في تدهور حالة معظم المساكن الطينية وإزالة بعضها، وإعادة بناء بعضها الآخر بالمواد الحديثة. وقد أقام بهذا الحي لاحقًا عدد من الأسر الفقيرة التي نزحت إلى الدرعية من مناطق مختلفة واستأجرت بعض مباني الحي من ملاكها خاصة التي على الشارع العام رغبة في التعرض لصدقات المحسنين في المواسم كرمضان والأعياد وغيرها. وقد استمر سكنى هذه الفئة لحي المريّح إلى أن نزعت كافة الملكيات وأُخْلِيَ الحي تمامًا في شعبان من عام ١٤٣٥هـ. كما أزيلَت لاحقًا مساكن الحي ومسجده، ووضع سياج حوله تمهيدًا لتطويره من قبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وقد أُشير إلى أن هذا الحي سيتم تحويله إلى بستان من النخيل يأخذ الطابع التنظيمي للبساتين القديمة، ولايزال الوضع كذلك إلى وقت إعداد هذه الدراسة. ومن المؤمل أن يتم إعادة بناء هذا المسجد بأسلوب تراثي مناسب يتسق مع خطة التطوير المقترحة للحي ويخدم الزائرين بمختلف شرائحهم.

مسجد ملوي:

وهو مسجد مساحته صغيرة، يقع في حي ملوي الذي اندثرت معالمة إلى الشمال من حي البجيري وإلى الشمال

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



الغربي من مقر محافظة الدرعية سابقًا والمستخدم حاليًا كمقر للجوازات على طريق الملك فيصل، وينسب هذا المسجد إلى ذلك الحي. وقد كان هذا المسجد يخدم مجموعة من المساكن المحيطة به من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، وقد أزيل معظمها لإقامة مقر محافظة الدرعية سابقًا، ومنذ حوالي أربعين سنة أعيد بناء المسجد بالخرسانة والمواد الحديثة، وقبل بضع سنوات أعيد بناؤه بالمواد الحديثة مرة أخرى. ويتميز هذا المسجد بموقعه الواضح على الشارع العام وبقربه من المناطق التي تم تطويرها ضمن مشروع حي البجيري وخاصة منتزه المطوية.

مسجد العقيلي:

وقد كان هذا المسجد يتوسط حي الظهرة والذي أزيل معظمه لإقامة بلدية الدرعية ومدرسة البنات الابتدائية بالإضافة إلى توسعة طريق الملك فيصل. ولا تزال أجزاء من هذا الحي باقية على هيئة شريط يشرف على مزارع النخيل التي تقع إلى الجنوب منه وقد سيجت بسياج للمحافظة عليها بغرض إقامة فندق تراثي إلا أنها تعاني تدهورًا كبيرًا. وينسب هذا المسجد إلى اسم إمامه الشيخ حمد العقيلي، رحمه الله، وبعضهم ينسبه إلى المؤذن فيقول مسجد رشيد، وقد كان يخدم هذا المسجد سكان حي الظهرة. وقد أعيد بناء هذا المسجد بالخرسانة والمواد الحديثة منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا. ويتميز هذا المسجد بموقعة على طريق الملك فيصل مقابل المبنى السابق لبلدية محافظة الدرعية من الجهة الجنوبية الغربية.

مسجد الطليحي:

ويقع في الجهة الغربية من حي سمحان ويخدم المنطقة التي تقع إلى الجنوب من مركز التنمية الاجتماعية، ويعدُّ من أحدث مساجد الدرعية الطينية. وينسب هذا المسجد إلى اسم إمامه سعد الطليحي والذي توفي، رحمه الله، قبل بضع سنوات، وقد شيد ابتداءً بأساس من الحجر ومونة الأسمنت بارتفاع نحو المتر وتم إكمال البناء فوق ذلك الأساس بجدران من اللبن الطيني المجفف بالشمس وسقف بخشب المرابيع. وقد أعيد بناء هذا المسجد بالخرسانة والمواد الحديثة منذ ما يقرب من عشرين عامًا.

مسجد الروقية:

وينسب هذا المسجد إلى حي الروقية الواقع في نهاية طريق الملك فيصل من الناحية الغربية بالقرب من مجرى وادي حنيفة وذلك إلى الجنوب الغربي من مركز التنمية الاجتماعية بالدرعية. وقد كان سكان هذا الحي من أوائل البدو الذين استوطنوا الدرعية واستقروا في مساكن من الطين، وذلك بخلاف بعض البادية الذين اتخذوا لهم بيوتًا من الشعر على أطراف الدرعية وخاصة من الناحية الشمالية خارج السور المهدم الذي يبدو على يمين المتجه شمالاً على طريق فيصل بن تركي والذي يربط بين حي سمحان وحي الخالدية. وقد أعيد بناء هذا المسجد قبل حوالي عشرين عامًا وذلك بالخرسانة والمواد الحديثة.





مسجد ضريمان:

وهو مسجد صغير يقع في الطرف الشمالي الغربي من حي الروقية ويطل من جهة القبلة على بستان نخل يطلق عليه ضريمان وإليه ينسب هذا المسجد. وقد أعيد بناؤه بالخرسانة والمواد الحديثة قبل حوالي خمسة وعشرين عامًا.

مسجد الغديفي:

وهو مسجد ذو مساحة صغيرة، يقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة حيث يطل على الوادي مباشرة، وينسب إلى إمامه، ولا يبعد هذا المسجد كثيرًا عن حي الروقية فهو يقع إلى الجنوب من الجسر الرابط بين حي الروقية من جهة ومزارع النخيل التي تقع على الضفة الغربية للوادي من جهة أخرى. وقد كان يخدم المزارع التي بجواره بالإضافة إلى المارة الذين يتخذون الوادي طريقًا لهم حيث كان مشيدًا على مستوى لا يرتفع كثيرًا عن مجرى الوادي. وقد هُدِمَ هذا المسجد وأعيد بناؤه بالمواد الحديثة في موقع قريب من موقعه الأصلي إلا أنه أصبح على مستوى أعلى بعد أن ضُمَّ إلى المزرعة التي بجواره وأصبح مسجدًا خاصًا بها وأصبح لها مدخلٌ على مستوى الجسر.

مسجد الجبيبير:

وهو كسابقه مسجد ذو مساحة صغيرة، كان يتوسط مجموعة من المزارع، وذلك قبل شق الطريق المؤدي إلى سد العلب بالدرعية، والذي شُق لربط كل من حي العودة والعلب ببقية أحياء الدرعية الأخرى. ويطل محراب هذا المسجد على

وادي حنيفة مباشرة إلى الشمال من الجسر الرابط بين ضفتي الوادي حيث لا يبعد عنه سوى بضعة أمتار. وينسب هذا المسجد إلى مزرعة مجاورة تحمل هذا الاسم، وقد أعيد بناؤه بالمواد الحديثة قبل ما يزيد على عشرين عاماً.

مساجد الدرعية الطينية التي ما زالت قائمة:

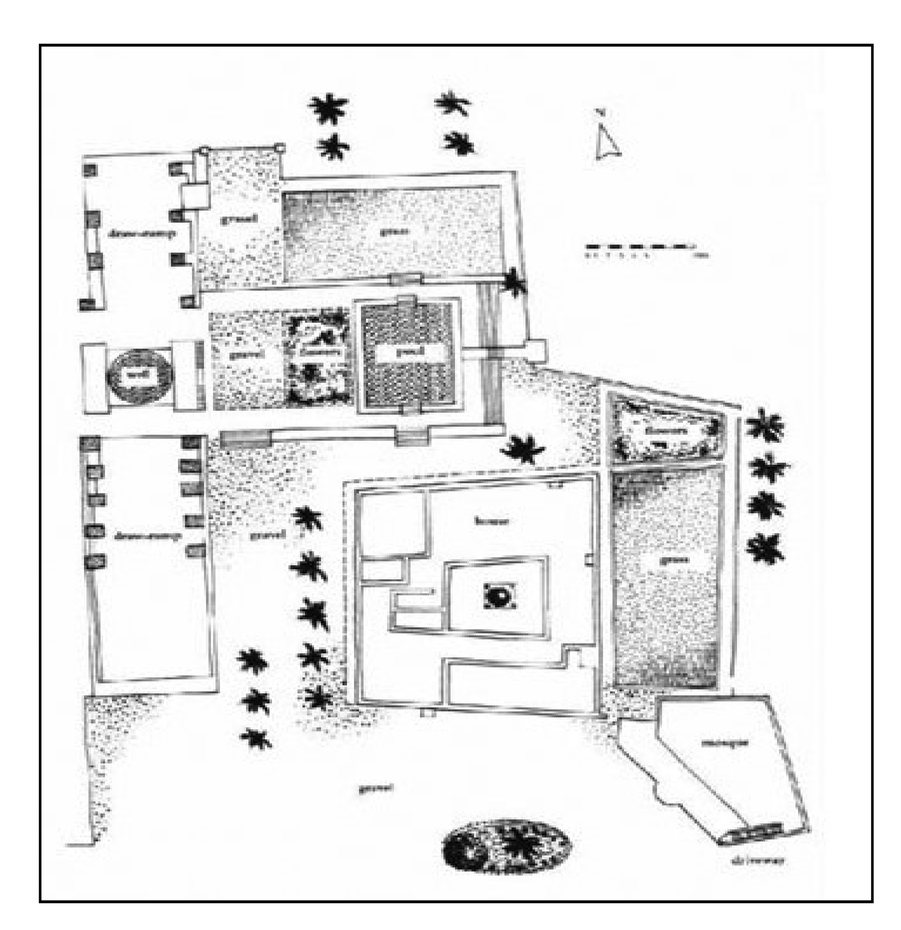
سبق الإشارة إلى المساجد الطينية المهدمة منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية، والمساجد التي شيدت بالطين بعد تلك الحملة وهدمت لاحقًا عبر فترات زمنية متفاوتة وأعيد بناؤها بالمواد الحديثة من قبل بعض المحسنين. ولا يزال الآن هناك عدد من المساجد الطينية الباقية على حالها، وان كان قد لحق بها بعض الضرر بفعل العوامل الجوية والبيئية المختلفة وضعف الصيانة الوقائية والتأهلية المدروسة لها بالرغم من إجراء بعض الترميمات والإصلاحات الارتجالية المحدودة لبعضها من قبل بعض المحسنين مما قد يكون أثر سلبًا عليها بشكل غير مباشر. وفيما يلي وصف لتلك المساجد حسب موقعها ابتداء من جنوب الدرعية إلى شمالها:

مسجد العذيبات:

وينسب هذا المسجد إلى مزرعة العذيبات، وهو مسجد خاص بها حيث يقع بوسطها مجاوراً للقصر من الناحية الجنوبية الشرقية، وقد كانت هذه المزرعة ملكًا للملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وقد اشتراها لاحقًا صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان الذي أولاها عناية خاصة وكان من ذلك ترميم قصرها الطيني بالإضافة إلى المسجد (الشكل ٢).


مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون





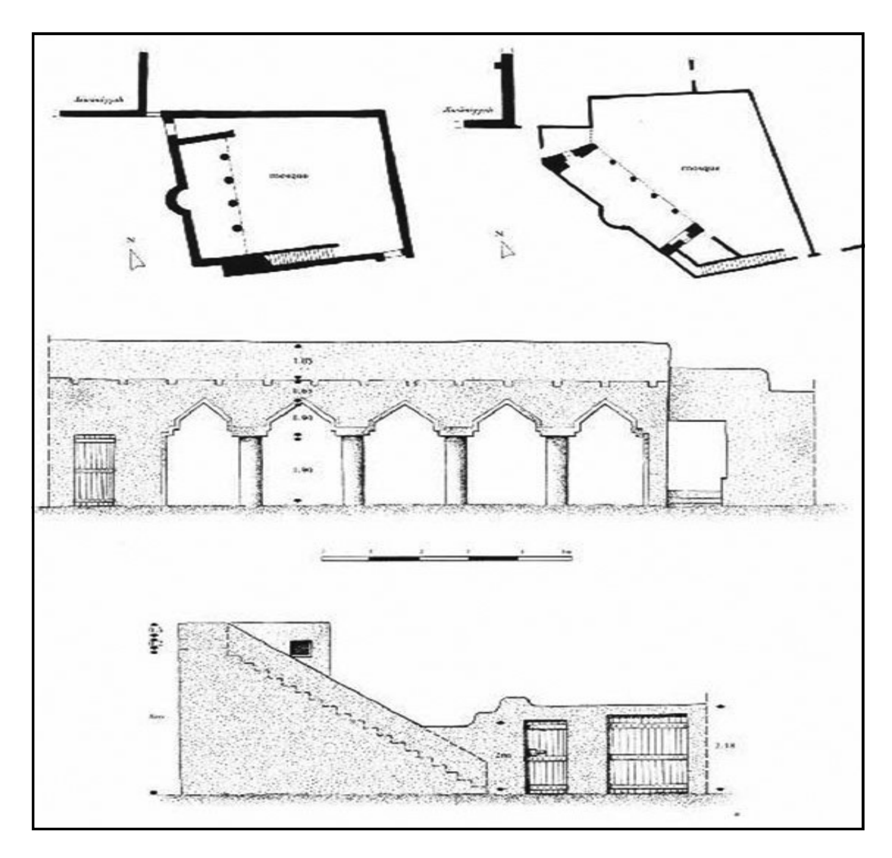
(الشكل ٢)

الموقع العام لقصر ومسجد العذيبات بمزرعة الأمير سلطان بن سلمان

(المصدر: Facy, 1997).

ويتكون المسجد من رواق من الأعمدة بالإضافة إلى صحن مفتوح، وقد حظي المسجد بأعمال ترميم مدروسة إلى حد كبير شملت تصحيح قبلته بالإضافة إلى إعادة بنائه من الأساس مع الاحتفاظ بطرازه الأصلي ومواد بنائه التقليدية مع بعض الإضافات المحدودة كمواد العزل المائي ونحوها (الشكل ٣،

الصورة ٧). وقد وثقت تلك التجربة الجديدة بالاهتمام في كتاب "العودة إلى الطين" (Back to Earth- Adobe Building in Saudi Arabia) الذي ألفه وليام فيسي (الصورة ٨)[٥٠].

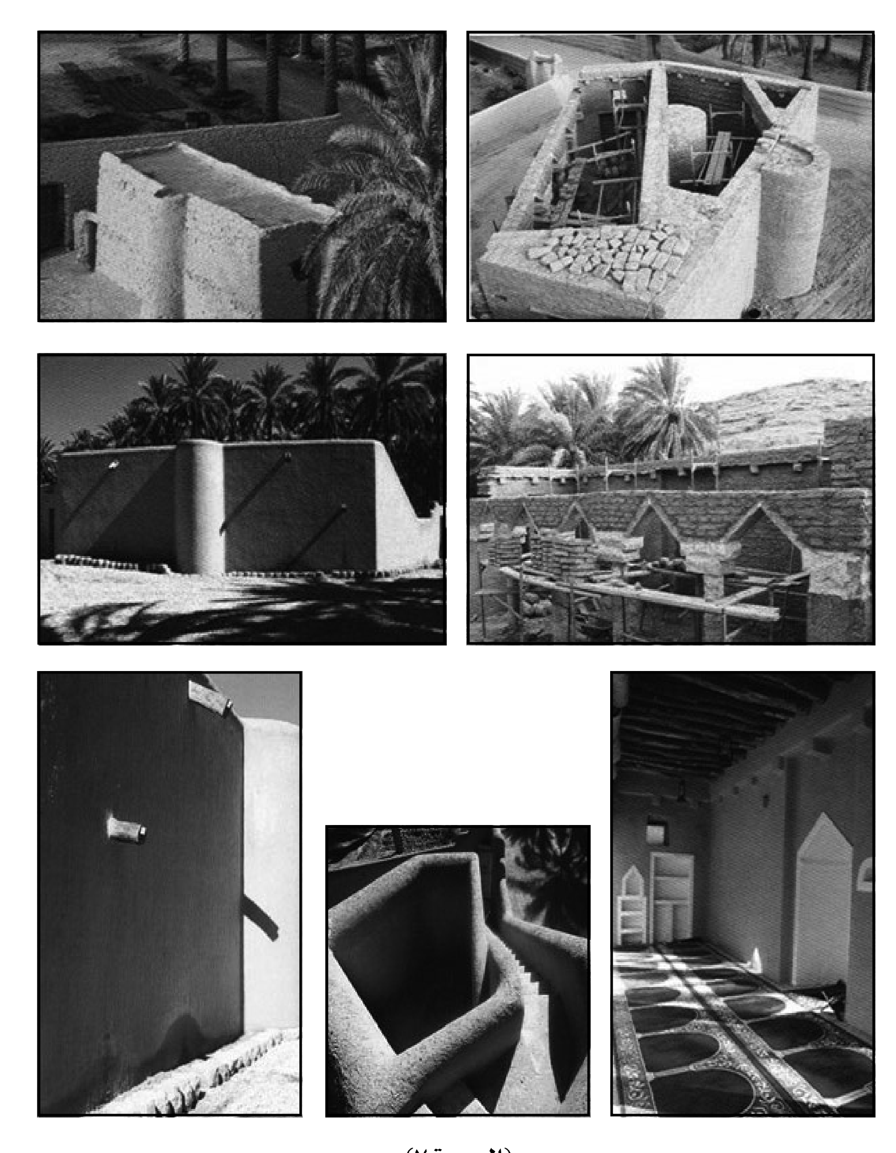


(الشكل ٣)

الرسومات المعمارية المختلفة لمسجد العذيبات بعد الترميم، ويوضح المسقط العلوي الأيمن وضع المسجد قبل التطوير وتعديل الانحراف الحاصل في القبلة

(المصدر: Facy, 1997).

(50) Facy, W., *Back to Earth- Adobe Building in Saudi Arabia, Al-Turath in association with*, The London Center of Arab Studies, Riyadh 1997.



(الصورة ٧)

لقطات مختلفة لمسجد العذيبات قبل الترميم وفي أثنائه وبعده مع بعض التفاصيل

(المصدر: Facy, 1997).



(الصورة ٨)
المنظر العام لمسجد العذيبات بعد الانتهاء من أعمال الترميم
(المصدر: Facy, 1997).

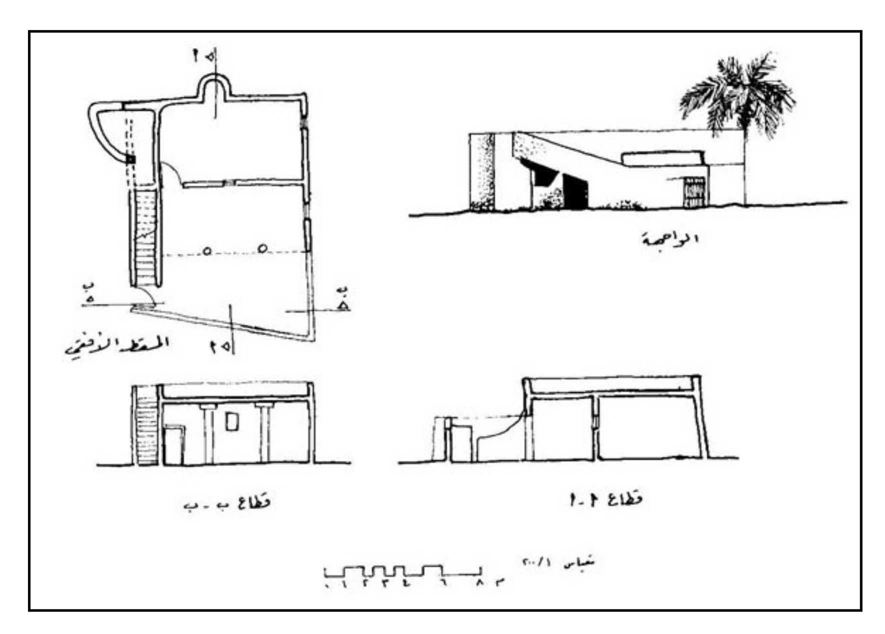
مسجد العويسية:

وينسب إلى مزرعة قديمة مازالت تحمل هذا الاسم حتى الآن، وقد كانت ملكًا للأمير تركي بن سعود أسفل الدرعية[٥١]، وتقع هذه المزرعة إلى الجنوب من طلعة النصرية، وذلك عند نقطة التقاء شعيب صفار بوادي حنيفة، ويوجد هذا المسجد في وسط مزارع النخيل التي يحاط بها من الناحيتين الشمالية والشرقية، في حين تحده طريق زراعية من الناحية الجنوبية

(٥١) ابن بشر، ١٤٠٢هـ، مرجع سابق.



الغربية تفصله عن بقية المزارع حيث يوجد المدخل. والمسجد باق على أصل بنائه بمادة الطين، وإن كان لحق به بعض الإصلاحات والتعديلات والتي أبرزها سقفه بخشب المرابيع وفصل قاعة الصلاة المغطاة عن صحن المسجد بجدار من الطين، وكذلك تغطية سرحته بمظلة خشبية لم تكن بمستوى من التشييد جيد أو مقبول، فعملت على حجب الإضاءة حجبًا شبه كليٍّ (الشكل ٤). والمسجد مهجور في الوقت الراهن ويعاني الإهمال وقلة النظافة ووجود بعض الحشرات كالنمل الأبيض الذي بدأ في مهاجمة أخشاب السقف، واتخذت بعض الحشرات الأخرى والطيور قاعة الصلاة مأوى لها.

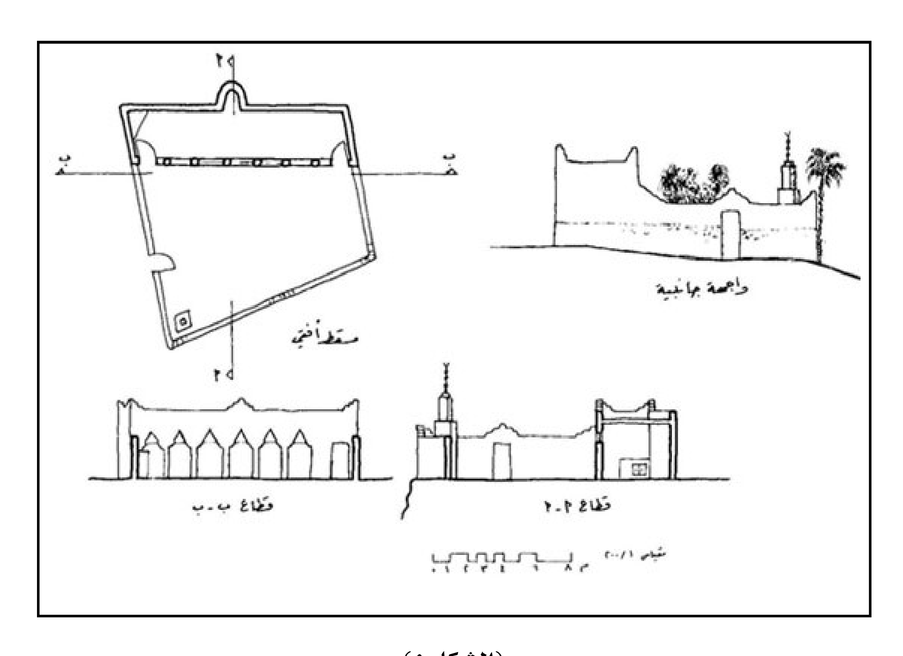


(الشكل ٤)

المساقط المعمارية والقطاعات لمسجد العويسية بمنطقة المزارع على الجهة الشرقية لوادي حنيفة في جنوب بالدرعية بالقرب من نقطة اتصال شعيب صفار بوادي حنيفة

مسجد الدواسر:

ينسب هذا المسجد إلى بعض أهالي الدرعية من قبيلة الدواسر، ويقع على الضفة الغربية لوادي حنيفة قبالة نهاية طريق الملك فيصل الذي يخترق أحياء الدرعية القديمة ابتداءً من حي الروقية غربًا وانتهاءً بحي المريّح في الجنوب الشرقي. ويطل المسجد على الوادي من الناحية الشرقية في حين تحيط به إحدى المزارع من جهتيه الشمالية والغربية وطريق زراعي من الجهة الجنوبية. ويتكون هذا المسجد الصغير من رواق يفتح على صحن صغير فصل عنه لاحقًا بجدار وتم تكييفه بمكيفات شباك، كما بُنِيَت له مئذنة من الحديد وضعت عليها مكبرات الصوت. وهذه المنارة مستحدثة (حيث إن هذا المسجد ليس له منارة في الأصل شأنه في ذلك شأن كافة المساجد الصغيرة التي تخدم المزارع ومن حولها) وشكل هذه المنارة لا يتناسب مع شكل المسجد ولا طرازه. ولا يزال هذا المسجد معمورًا بالصلوات خاصة النهارية منها حيث إنه يخدم المزرعة المجاورة بالإضافة إلى العابرين في الوادي (الشكل ٥). ويجري في الوقت الراهن بعض أعمال الترميم لهذا المسجد ضمن برنامج العناية بالمساجد التاريخية.



(الشكل ٥)
المساقط المعمارية والقطاعات لمسجد الدواسر بمنطقة المزارع على الحافة الشرقية لوادي حنيفة بالقرب من حي المريّح بالدرعية.

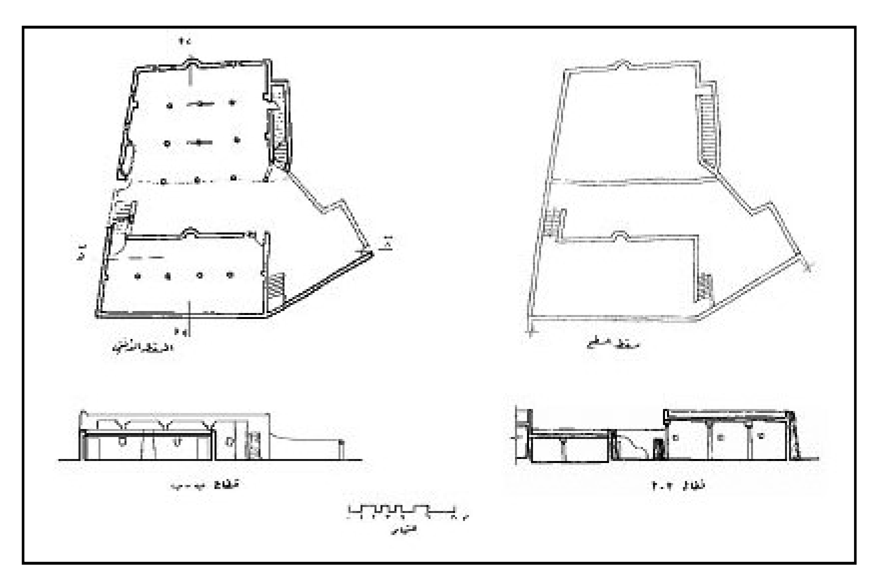
مسجد بريكة:

ويقع هذا المسجد في الجزء الجنوبي الغربي من حي الطريف التاريخي، ويبدو أنه بني على أنقاض مسجد في هذه الجهة إبان حملة الباشا على الدرعية. وينسب هذا المسجد إلى بركة ماء صغيرة تقع في قبلة المسجد تستخدم للوضوء كما حدثني بذلك أحد سكان الحي القدامى، وقد كان إمام هذا المسجد قبل رحيل السكان إلى الأحياء الجديدة هو الشيخ عبدالرحمن البريدي، الذي توفي، رحمه الله، قبل بضع سنوات. ويتميز هذا المسجد بموقعه الذي يفتح على ساحة مفتوحة من الجهتين الغربية والجنوبية اللتين تطلان

بدورهما على أحد الشعاب ومزارع النخيل على التوالي. ويمكن أن تستثمر تلك الساحة في بعض المناشط المفتوحة في حال تطوير الحي. ويطل المسجد على ممر من الناحية الشمالية في حين يتصل بالمساكن المجاورة من الناحية الشرقية. ويعدُّ مسجد بريكة من أقدم المساجد الطينية الباقية على حالها وإن كان لحق به بعض الترميمات والتحسينات كما هو واضح من سقفه الذي يبدو أنه غيِّرَ في وقت لاحق، وذلك باستخدام أخشاب المرابيع وألواح الخشب المقصوصة (الطبق). ويتكون هذا المسجد من عدد من الأروقة بالإضافة إلى ساحة مفتوحة أو ما يسمى السّرحة والتي تفصل بين تلك الأروقة والخلوة من الناحية الشرقية، وقد بنيت تلك الخلوة على مستوى الأرض وليس بالحفر على غرار بعض المساجد الأخرى. وقد كانت الخلوة تمثل المصلى المغلق الذي يستخدم للصلاة في أوقات البرد في حين يستخدم سطحها لصلوات الفجر والمغرب والعشاء في الصيف (الشكل ٦). والمسجد مهجور في الوقت الحالي وذلك منذ انتقال أهل الحي إلى المخططات الجديدة عام ١٤٠٠هـ، ويعاني تدهورًا كبيرًا من الناحية الإنشائية سواء في سقفه أو جدرانه مما حدا بالهيئة العليا لتطوير الرياض ممثلة في برنامج الحفاظ على التراث العمراني للقيام بأعمال تدعيم محدودة لهذا المسجد والذي يعاني أيضًا من سوء تصريف لمياه الأمطار، كما أنه أصبح مأوى للطيور مما فاقم من المشكلة بما تتركه من مخلفات. والمسجد معرض للانهيار في أي وقت وهو بحاجة ماسة وعاجلة للصيانة والاستثمار في مشروع



الاهتمام بحي الطريف التاريخي. ويتوقع ترميم هذا المسجد ضمن أعمال التطوير الجارية حاليًا في حي الطريف والذي سوف يفتتح مطلع العام القادم بمشيئة الله.



(الشكل ٦)

المساقط المعمارية والقطاعات لمسجد بريكة بحي الطريف التاريخي بالدرعية

(المصدر: الجديد، ١٤٣٠هـ).

مسجد سبالة موضي:

ويقع هذا المسجد في الجزء الجنوبي الشرقي من حي الطريف التاريخي وذلك إلى الجنوب من قصر سلوى حيث كان مقر الحكم في الدولة السعودية الأولى. والمسجد ملاصق من الناحية الشمالية لمبنى السبالة وهو وقف لطلبة العلم، ويبدو أن المسجد والسبالة ينسبان لموضي بنت أبي وهطان من آل كثير زوجة الأمير محمد بن سعود والتي أشارت عليه

بلقاء الإمام محمد بن عبدالوهاب. ويبدو أن المسجد لم يُدَمَّر بشكل كامل خلال حملة الباشا على الدرعية على غرار ما حصل لمسجد الطريف، مما حدا بالسكان (الذين استوطنوا الدرعية بعد رحيل الباشا عنها) إلى إصلاح ما تهدم منه. ويظهر أن الوضع بقي على تلك الحال دون تغيير كبير مع الاستمرار في صيانته من قبل جماعة المسجد الذين كانوا يسكنون بالقرب منه وهو بهذا يعتبر من أقدم مساجد الدرعية الطينية الباقية أن لم يكن أقدمها.

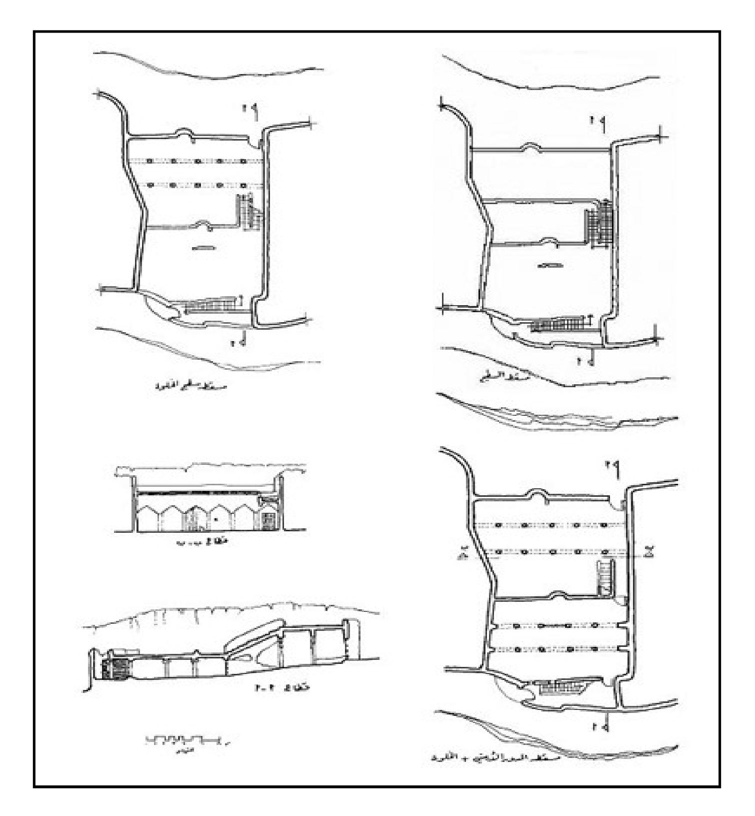
ويطل هذا المسجد على ممرين للمشاة أحدهما من جهة الغرب حيث القبلة، والآخر من جهة الشرق حيث توجد مزارع النخيل، أما من الناحية الجنوبية فهو ملاصق للبيوت المجاورة، ومن الناحية الشمالية فهو ملاصق للمباني المجاورة له من هذه الجهة ومنها مبنى السبالة والذي يبدو أنه كان هناك باب يربطه مع المسجد في هذا الجدار المشترك، إلا أن هذا الباب سد في فترة متأخرة وهناك من الآثار ما يدل على ذلك مثل كوة الباب وعتبته. ويتكون هذا المسجد ذو المساحة الصغيرة من رواقين من الأعمدة الحجرية ذات العقود المدببة تليها من ناحية الشرق صحن صغير مفتوح فمنطقة الخلوة فالمدخل الشرقي للمسجد. وتستخدم هذه الخلوة للصلاة أوقات الشتاء والبرد في حين يستخدم سطحها للصلاة في أوقات أخرى طلبًا للدفء أو اعتدال الجو حسب فصول السنة وأوقات الصلوات (الشكل ٧).

ويلاحظ أن الخلوة في هذا المسجد كبيرة نسبيًا مقارنة بأروقة الصلاة، وهذا خلاف العادة في المساجد النجدية

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



حيث تكون الخلوة في الغالب أصغر من مساحة أروقة الصلاة أو مساوية لها، وربما يعود هذا إلى أصل نشأة المسجد حيث كان يخدم العاملين في بيت المال وطلاب العلم الذين يسكنون بجواره فحسب. والمسجد في الوقت الراهن مهجور وذلك منذ رحيل أهالي الحي الذين يسكنون بجواره وذلك في عام ١٤٠٠هـ. ويحتاج المسجد إلى اهتمام خاص وصيانة دورية؛ وذلك لقيمته التاريخية وطرازه المعماري وموقعه المميز.



(الشكل ٧)
المساقط المعمارية والقطاعات لمسجد السبالة بحي الطريف التاريخي بالدرعية
(المصدر: الجديد، ١٤٣٠هـ).

مسجد الظويهرة:

ويقع هذا المسجد في وسط حي يحمل الاسم نفسه، وقد أزيل معظم هذا الحي ولم يبق منه سوى المسجد وشريط محدود من المساكن إلى الشرق منه والتي يعمل ملاكها على هدمها لإعادة بنائها بالمواد الحديثة في ظل عدم وجود نظام للحفاظ على المباني القديمة في أحياء الدرعية القديمة. وقد كان هذا المسجد متصلاً بالنسيج العمراني لبقية الحي حيث كان والى حوالي عام ١٤٠٠هـ متصلاً بالمساكن من الجهتين الشمالية والغربية في كان يحده من الجهة الشرقية ممر مشاة ضيق ويحده من الجهة الجنوبية شارع الملك فيصل. ويتميز هذا المسجد مقارنة ببقية المساجد الطينية القائمة بالدرعية بكبر حجمه وبموقعه المتوسط وطرازه المعماري الذي احتفظ به عبر السنين وتفاصيله ونسبه المميزة ويستحق دراسة مستقلة (الصورة ٩). ويتكون هذا المسجد من عدد من الأروقة وصحن سماوي ضيق وخلوة نصفها محفور في التربة والنصف الآخر مبني، وذلك في ناحيته الشرقية، وذلك بالإضافة إلى سلمين في الناحيتين الجنوبية والشمالية يقودان إلى السطح حيث توجد المنارة متصلة بجداره الشمالي. وقد تم مؤخرًا ترميم هذا المسجد على نفقة صاحب السمو الملكي سلطان بن سلمان وذلك ضمن أعمال التطوير في حي البجيري والذي كان افتتاحه عام ١٤٣٦هـ (الصورة ١٠). والمسجد يتوسط حي البجيري ويرتبط بساحته من جهة القبلة ويؤمه المصلون من زوار حي البجيري والباعة في المحلات المجاورة.





(الصورة ٩)

لقطات مختلفة لمسجد الظويهره بحي البجيري بالدرعية وذلك قبل أعمال التطوير التي تمت لكامل الحي ومن ثم افتتاحه في شوال من عام ١٤٣٦هـ.



(الصورة ١٠)

لقطاتان، قديمة وحديثة، لمسجد الظويهرة الذي يُعَدُّ المعلم الوحيد الباقي على أصله ضمن منطقة البجيري بعد إزالة المنطقة على فترات مختلفة وإدخالها ضمن مشروع تطوير حي البجيري.

مسجد السريحة:

وينسب هذا المسجد إلى حي السريحة الذي أزيل معظمة خلال العقود القليلة الماضية ولم يبق سوى المسجد وبعض المنازل الطينية القريبة منه والتي تعاني تدهورًا وتهدمًا ملحوظًا. وقد كانت تقام فيه الصلوات المفروضة لأهالي الحي الذين كانوا يؤدون الجمعة في جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ويتكون هذا المسجد من عدد من الأروقة بالإضافة إلى صحن مكشوف يمثل سقفًا للخلوة التي حفرت داخل التربة ويصل إليها سلم يقع في الجزء الشمالي من المسجد وذلك بالإضافة إلى السلم الذي يقود إلى سطح المسجد ومنارته المربعة الشكل التي تقع في منتصف جداره الجنوبي ولا تعلو كثيرًا عن مستوى سطح المسجد.

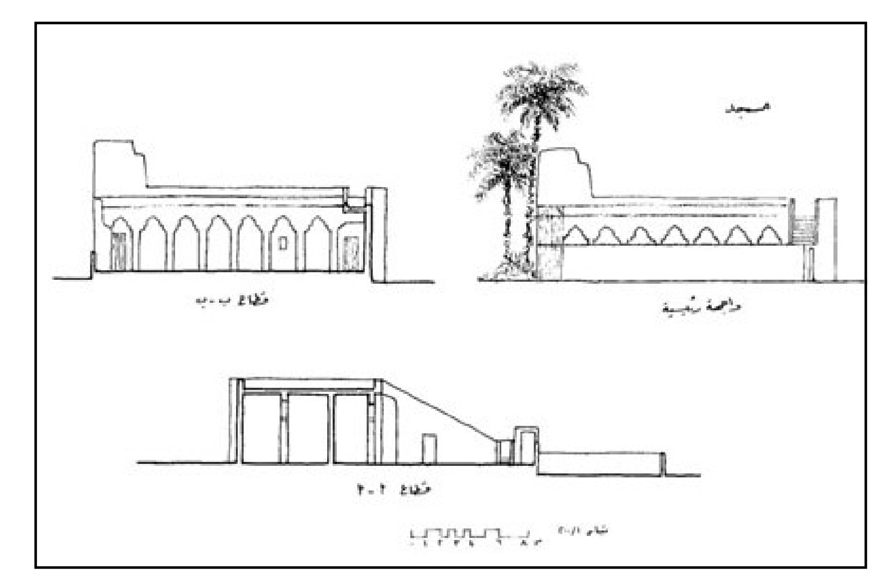


ورغم وجود العديد من الإصلاحات التي تمت للمسجد إلا أنه مازال يحتفظ بشكله وطريقة بنائه (الصورة ١١). وقد كان أبرز تلك الإصلاحات فصل قاعة الصلاة إلى جزأين وذلك بجدار موازٍ لجدر القبلة وضع فيه بابان وتم تكييف ذلك الجزء بمكيفات شباك، ومن تلك الإصلاحات بناء جزء من جدار المسجد الجنوبي ودورة مياهه وأماكن الوضوء بالبلوك الأسمنتي (الشكل ٨). وقد تم مؤخراً ترميم أجزاء كبيرة من هذا المسجد ضمن برنامج العناية بالمساجد التاريخية، والذي تقوم عليه الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني ضمن برنامج خادم الحرمين الشريفين للعناية بالتراث الحضاري للمملكة. وقد أُنجزتْ تلك الأعمال على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان -جزاه الله خيراً- وكان افتتاحه بشكل جزئي في رمضان سنة ١٤٣٨هـ، ولا تزال أعمال الترميم قائمة في منطقة صحن المسجد.



(الصورة ١١)

لقطتان لمسجد السريحة، توضح اليمنى منهما وضع المسجد قبل الترميم واليسرى بعد الترميم ويلاحظ وجود بعض أعمال الترميم الجاري حالياً استكمالها في صحن المسجد



(الشكل ٨)

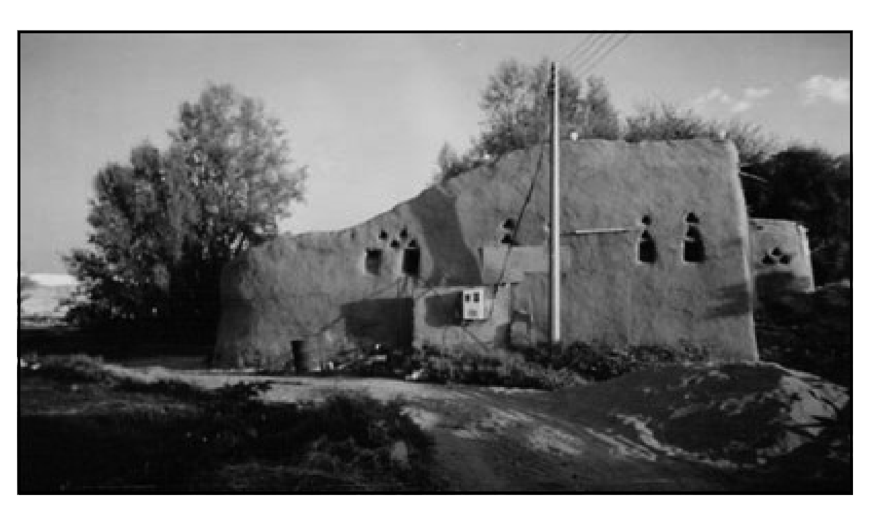
لقطة عامة بالإضافة إلى الرسومات المعمارية من واقع الرفع المساحي لمسجد السريحة بجوار منتزه المطوية إلى الغرب من حي البجيري.



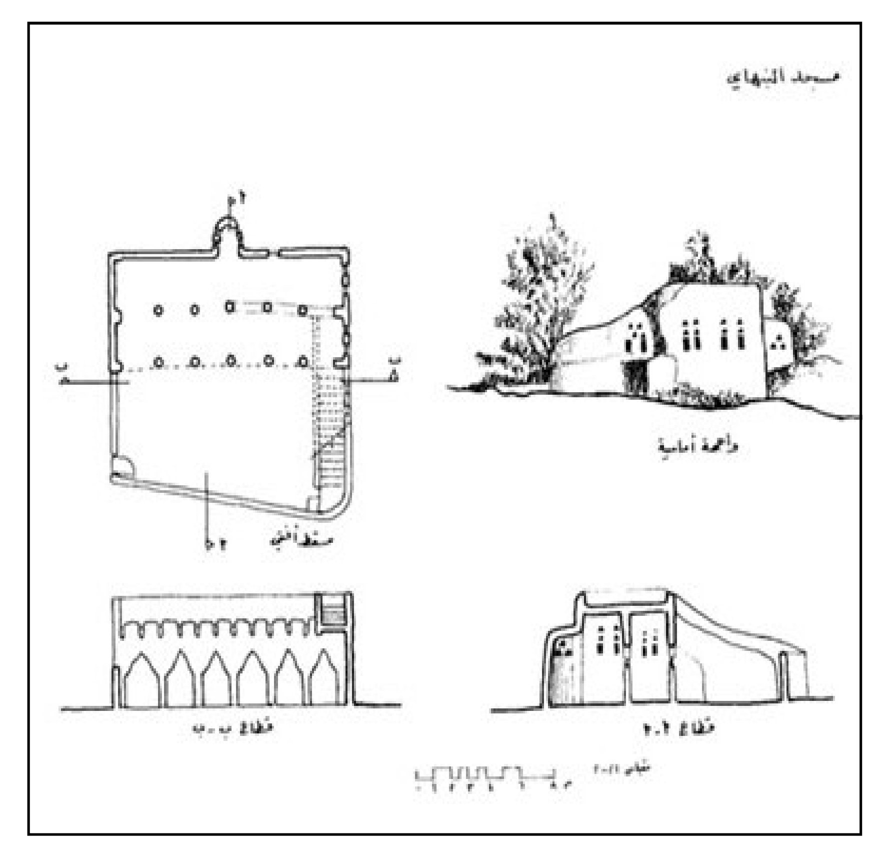


مسجد النبهاني:

ينسب هذا المسجد إلى مزرعة النبهاني المجاورة له، ويقع في وسط مجموعة من المزارع التي تقع إلى الشمال الغربي من مبنى محافظة الدرعية. وقد أهملت هذه المزارع خلال فترة الجفاف التي مرت بالدرعية قبل ما يزيد على أربعين سنة مضت مما أدى إلى إهمال المسجد وهجرانه. إلا أنه أعيد استخدامه من قبل بعض العمالة الذين يشتغلون في بعض تلك المزارع بعد توافر المياه فيها خلال السنوات القليلة الماضية. وقد جرت في هذه الفترة بعض الترميمات الاجتهادية من قبل بعض المحسنين تمثلت في تغطية جدرانه بطبقة من مونة الأسمنت مما أسهم في تدهور تلك الحوائط نتيجة لاجتذاب الأسمنت للرطوبة والمياه وبالتالي الإسراع في تلفها (الصورة ١٢، والشكل ٩).



(الصورة ١٢)
لقطة لمسجد النبهاني الذي لا يبعد كثيراً عن مشروع تطوير حي البجيري
ويلاحظ تكسية جدران المسجد باللياسة الأسمنتية



(الشكل ٩)

الرسومات المعمارية من واقع الرفع المساحي لمسجد النبهاني والذي يقع إلى الشمال من حي البجيري

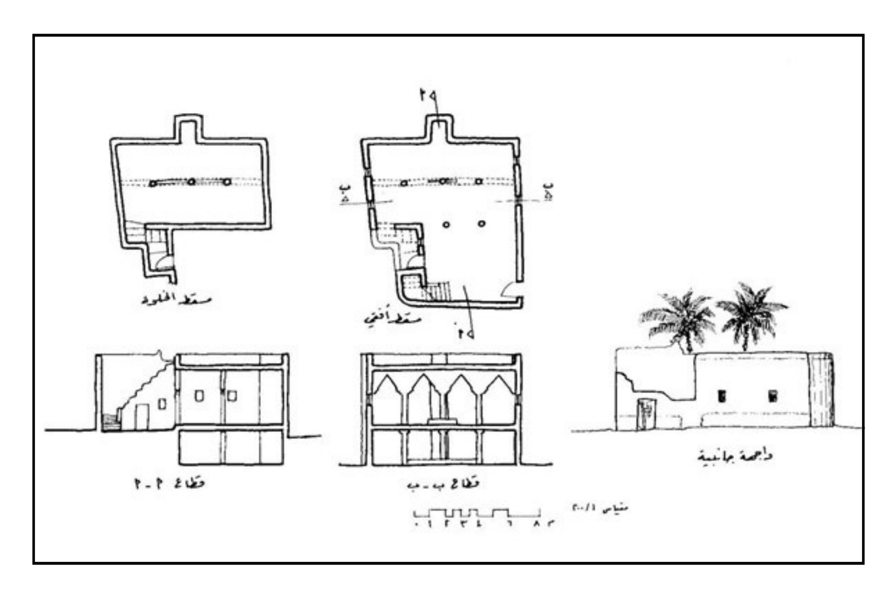
مسجد العفيري:

وينسب هذا المسجد إلى مزرعة بهذا الاسم، ويقع في وسط مزارع النخيل على الضفة الغربية لوادي حنيفة ويمكن الوصول إليه من خلال الجسر الرابط لضفتي الوادي بالقرب من حي الروقية، وذلك بالاتجاه يساراً عند نهاية الطريق فيأتي المسجد على اليمين إلى الغرب من ساحة مفتوحة بين

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



المزارع. ولا يزال هذا المسجد مستخدمًا من قبل العمال الذين يعملون في المزارع المجاورة، وذلك لأداء الصلوات المفروضة. وتحد المزارع هذا المسجد من الناحيتين الغربية والجنوبية في حين يطل على الساحة المفتوحة من الناحية الشمالية حيث المدخل. ويوجد إلى الشرق من المسجد وذلك بالقرب من مدخله بئر قديمة معطلة كان يستفاد منها الوضوء. ويتكون المسجد من رواقين من الأعمدة وساحة مفتوحة (سرحة) وخلوة تحتها يمكن الوصول إليها من خلال درج يوجد في الناحية الجنوبية من المسجد (الشكل ١٠ والصورة ١٣).



(الشكل ١٠)

المساقط المعمارية والقطاعات لمسجد العفيري بمنطقة المزارع على الجهة الغربية لوادي حنيفة إلى الغرب من حي الروقية بالدرعية




(الصورة ١٣)
لقطتان لمسجد العفيري بمنطقة المزارع على الجهة الغربية لوادي حنيفة
ويتضح فيهما مدخل المسجد من الناحية الشمالية

مسجد قليقل:

ينسب هذا المسجد إلى شعب قليقل المعروف تاريخيًا والذي لا يزال يحمل هذا الاسم، وذلك بالإضافة إلى مزرعة مجاورة له من الناحية الشمالية تحمل نفس الاسم. ويقع هذا المسجد ذو المساحة الصغيرة على هضبة صخرية صغيرة لا تبعد كثيرًا عن حي غصيبة التاريخي والذي يقع إلى الجنوب الغربي من هذا المسجد. وهو بهذا الموقع لا يبعد كثيرًا عن الزاوية الجنوبية الغربية لمركز التنمية الاجتماعية بالدرعية. ويخدم هذا المسجد مزرعة قليقل المشار إليها بالإضافة إلى بعض المزارع المجاورة وهو مهجور في الوقت الراهن. ويُعَدُّ حي الروقية أقرب الأحياء إلى هذا المسجد الذي يحده من الشمال الشرقي طريق مسفلت كان في السابق هو الطريق الرئيس الذي يصل حي الظهرة وسمحان والروقية بحيي العودة والعلب ومنطقة السد. أما من الناحية الغربية فيحده



مقبرة قديمة ربما تكون المقبرة الخاصة بحي غصيبة فهي أقرب المقابر إليه، في حين يحد هذا المسجد من الناحيتين الجنوبية والشرقية بعض الأراضي الزراعية التي زرعت في وقت لاحق. وقد ذكر لي والدي، رحمه الله، أنه أدرك هذا المسجد مهدمًا قبل ما يزيد على خمسين عامًا، وقد قررت إدارة المساجد والأوقاف في ذلك الوقت إصلاح المسجد ضمن مجموعة مساجد أخرى. وقد حضر العمال الموكل إليهم إصلاح المسجد وعزموا على وضع جسور خشبية من جذوع أشجار الأثل وذلك بين الأعمدة (وذلك خلاف المعتاد في المساجد النجدية القديمة)، فرفض الوالد هذا الأمر وبحث عن بعض الأحجار كبيرة الحجم الناتجة من أعمال إصلاح طريق الدرعية الموصل للرياض في ذلك الوقت ورصفه بالأسفلت، وقام بتشذيبها ونقلها بسيارته إلى موقع المسجد، واتفق مع ابن رواف، وقد كان أستاذ بناء معروفًا في الدرعية، لبناء العقود الحجرية المدببة التي يشيد فوقها السقف، وأتم العمال بعد ذلك عملية البناء. وذكر الوالد، رحمه الله، أيضًا أنه كان يرعى أمور المسجد وقد جلب خزان ماء وحوضًا للوضوء حينما كان الطريق المجاور للمسجد مطروقًا من قبل السيارات، كما ذكر أنه أحضر من قام بدهن سقف المسجد وذلك لمعالجة مشكلة النمل الأبيض (الأرضة) التي فتكت به قبل حوالي عشرين سنة. وقد لاحظ الباحث أن المسجد قد حوصر من قبل أصحاب المزارع والأملاك المجاورة، ولم يعد الأمر على ما كان عليه قبل أقل من عقدين من الزمان، حيث أصبح محاطًا بأسوار البلوك الأسمنتي ولم يبق له سوى

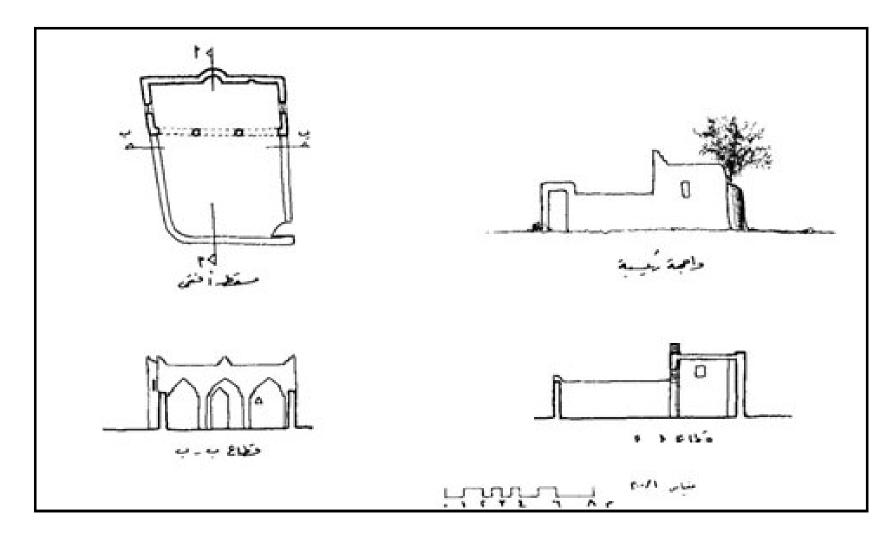
واجهة محدودة على الطريق المجاور وذلك بالقرب من مدخله الشمالي في حين سد مدخله الجنوبي تمامًا ولا تزال آثار ذلك بادية (الصورة ١٤، والشكل ١١).





(الصورة ١٤)

لقطة لمسجد قليقل والذي لا يبعد كثيراً عن حي غصيبة التاريخي، ويلاحظ حصار أسوار المزارع المحدثة لموقع المسجد كما يلاحظ العبث بالكتابة على حائط المسجد الخارجي



(الشكل ١١)

الرسومات المعمارية من واقع الرفع المساحي لمسجد قليقل والذي يقع في منطقة المزارع إلى الشمال الشرقي من حي غصيبة التاريخي





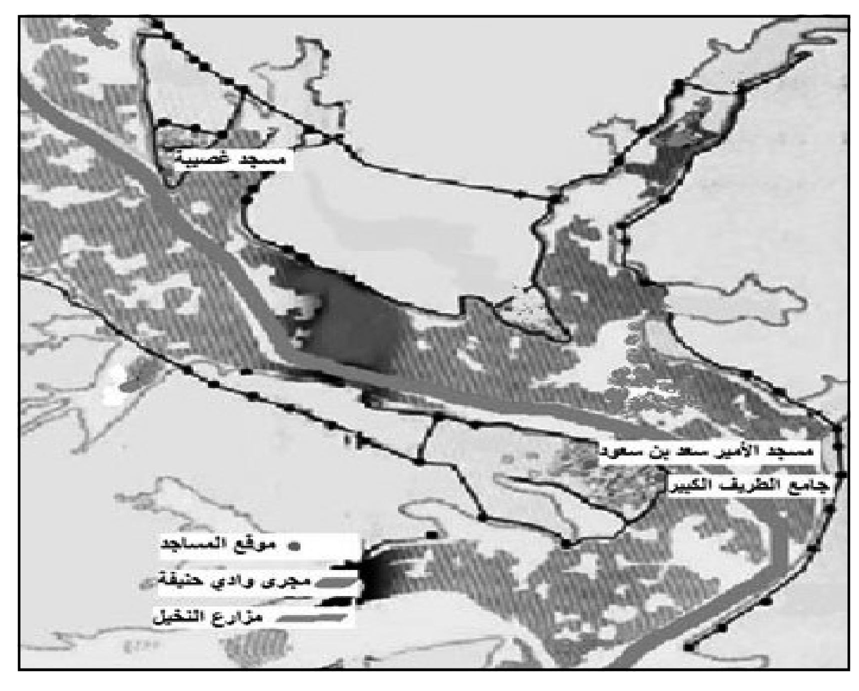
نتائج الدراسة والتوصيات:

نتائج الدراسة:

لقد ظهر من المسح الميداني للمساجد الطينية بمدينة الدرعية، وما تبع ذلك من أعمال التوثيق التي تمت من خلال المقابلات مع كبار السن من الأهالي والزيارات المتعددة وأعمال الرفع المساحي والتصوير الفوتوغرافي والتحليل لتلك البيانات والمعلومات العديد من النتائج التي يمكن استخلاصها وفق ما يلي:

أ- عدد المساجد الطينية ومواقعها ونسبتها:

لقد تبين من الدراسة أن إجمالي عدد المساجد الطينية الموجودة بالدرعية (إلى ما قبل حوالي أربعين عامًا) يبلغ سبعة وعشرين مسجدًا، منها ثلاثة مساجد لا تزال مهدمة منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية (١٢٣٣- ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨-١٨١٩م) يوجد منها اثنان بحي الطريف هما جامع الإمام محمد بن سعود عند مدخل الحي من الناحية الشرقية، ومسجد سعد بن سعود والذي يتوسط الجزء الشمالي الغربي من الحي، وجامع غصيبة والذي يقع في الجزء الغربي من الحي التاريخي الذي يحمل نفس الاسم. وهذه المساجد الثلاثة لم يُعَدّ عمارتها منذ الحملة المذكورة (الشكل ١٢).

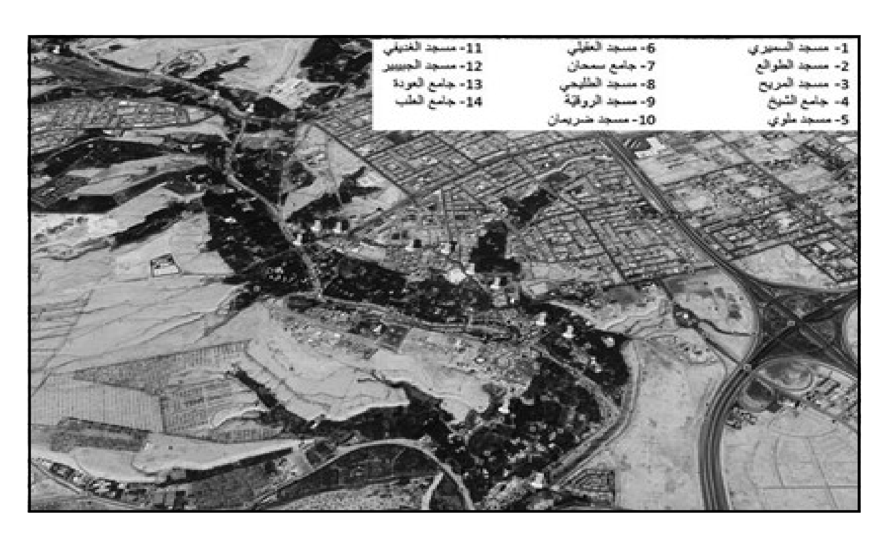


(الشكل ١٢)
مواقع مساجد الدرعية الطينية التي لا تزال مهدمة
منذ حملة إبراهيم باشا على الدرعية

ويوجد أربعة عشر مسجدًا طينيًا أعيد بناؤها بالمواد الحديثة خاصة أثناء فترة الطفرة الاقتصادية الأولى التي مرت بها البلاد قبل حوالي أربعة عقود، إلا أنه رغم تواجد تلك المساجد ضمن أحياء الدرعية القديمة إلا أنه بني معظمها بطريقة غير جيدة وبأسلوب لم تُستشعر فيه خصائص البيئة العمرانية المحيطة أو الطابع المعماري الذي يجب أن تتحلى به تلك المدينة التي لا تخفى قيمتها التاريخية (الشكل ١٣، والجدول ١).

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون





(الشكل ١٣)
مساجد الدرعية الطينية التي أعيدَ عمارتها بالخرسانة مرقمة
من جنوب الدرعية إلى شمالها

وتعاني تلك المساجد رغم إعادة بنائها بالمواد الحديثة (والتي تُعَدُّ أكثر متانة من المواد التقليدية) من ضعف في الصيانة ومن بعض الزيادات والإضافات غير المدروسة أو المنفذة بشكل جيد. ويتأكد هذا عند إدراك أن معظم مرتادي تلك المساجد والسكان الذين يقعون في محيطها والقائمين عليها غالبهم من العمالة الآسيوية الوافدة التي تسكن في بعض البيوت الطينية المجاورة ولا تدرك تاريخ الدرعية ولا تاريخ تلك المساجد ولا قيمتها ضمن النسيج العمراني الذي كان يضم أهالي الدرعية الأصليين وما يحملونه من ذكريات ناهيك إلى إدراك الطابع المعماري للمساجد النجدية.

(الجدول١)

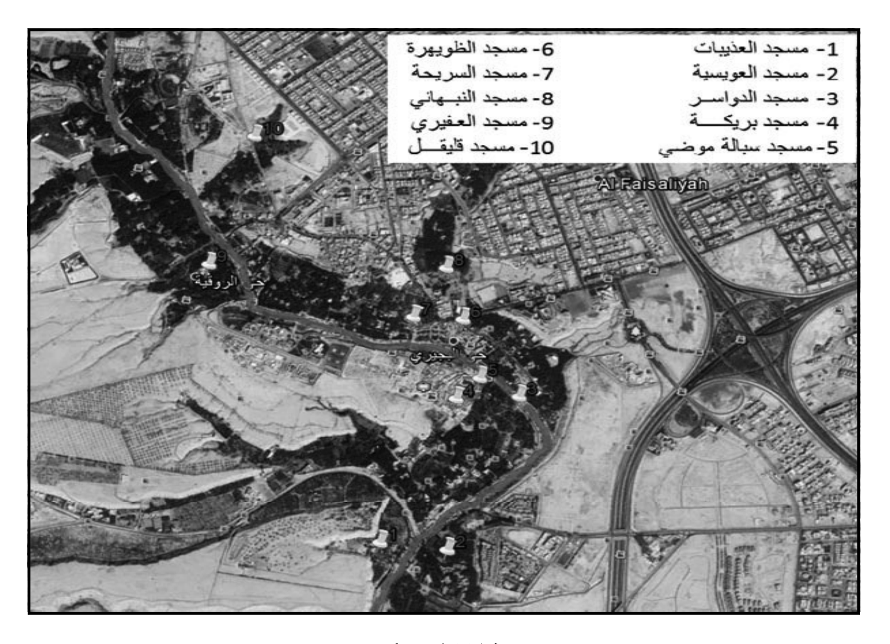
يوضح مساجد الدرعية الطينية التي أعيدَ بناؤها بالخرسانة المسلحة وذلك بالترتيب من جنوب الدرعية إلى شمالها.

مسلسل	اسم المسجد	نوع المسجد	النسبة			موقع المسجد	اسم الحي أو المنطقة
			لحي	لمزرعة	لشخص		
١	السميري	غير جامع		●		مطل على الوادي	المزارع
٢	الطوالع	غير جامع		●		وسط المزارع	المزارع
٣	المريّح	غير جامع	●			وسط حي	المريّح
٤	الشيخ محمد بن عبدالوهاب	جامع			●	بالقرب من الآثار	البجيري
٥	ملوي	غير جامع	●			وسط حي	ملوي
٦	العقيلي	غير جامع			●	وسط حي	الظهرة
٧	سمحان	جامع	●			وسط حي	سمحان
٨	الطليحي	غير جامع			●	غرب حي	سمحان
٩	الروقية	غير جامع	●			وسط حي	الروقية
١٠	ضريمان	غير جامع		●		شمال غرب حي	الروقية
١١	الغديفي	غير جامع			●	مطل على الوادي	المزارع
١٢	الجبيبير	غير جامع		●		مطل على الوادي	المزارع
١٣	العودة	جامع	●			وسط حي	العودة
١٤	العلب	جامع	●			وسط حي	العلب





ولا يزال هناك عشرة مساجد طينية قائمة في أحياء الدرعية التاريخية أو بالقرب منها أو على ضفاف وادي حنيفة أو المزارع القريبة منه، وتعاني تلك المساجد إهمالاً واضحًا رغم ما تمثله من قيمة تراثية مهمة يمكن أن تسهم بشكل فاعل في برنامجي تطوير الدرعية التاريخية وتطوير وادي حنيفة اللذين تقوم على تنفيذهما الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض (الشكل ١٤). ويوجد أربعة من تلك المساجد ضمن منطقة الدرعية التاريخية حيث يوجد اثنان في حي الطريف التاريخي، وآخران يقعان بالقرب منه في حيي الظويهرة والسريحة. أما المساجد الستة الباقية فتوجد في مناطق المزارع على ضفاف وادي حنيفة أو بالقرب منه.



(الشكل ١٤)

مساجد الدرعية الطينية التي لا تزال قائمة في أحياء الدرعية التراثية وبين مزارعها على ضفتي وادي حنيفة

وتنسب خمسة من المساجد الطينية القائمة إلى أسماء المزارع التي تقع بالقرب منها، في حين ينسب اثنان إلى أسماء الأحياء التي تقع فيها تلك المساجد، وينسب آخران إلى أسماء أسرة أو علم، وينسب الأخير إلى اسم معلم يتمثل في بركة ماء صغيرة تقع بالقرب منه (الجدول ٢).

(الجدول٢)

يوضح مساجد الدرعية الطينية القائمة، وذلك بالترتيب من جنوب الدرعية إلى شمالها.

مسلسل	اسم المسجد	النسبة				نوع المسجد	نسبة الأشغال	المساحة (م مربع)	نسبة الاشغال	إمكانية الاستثمار
		لحي	لمزرعة	المعلم	لشخص أو أسرة					
١	العذيبيات		●			وسط مزرعة	المزارع	٢٢٥	معمور	ضعيفة
٢	العويسية		●			وسط المزارع	المزارع	١١٠	مهجور	ضعيفة
٣	الدواسر				●	مطل على الوادي	المزارع	١٥٠	معمور	متوسطة
٤	بريكة			●		وسط آثار	الطريف	٣٧٥	مهجور	عالية
٥	سبالة موضي				●	وسط آثار	الطريف	٢٦٥	مهجور	عالية
٦	الظويهرة	●				بالقرب من آثار	البجيري	٦٥٠	معمور	عالية
٧	السريحة	●				بالقرب من آثار	السريحة	٤٠٠	معمور	عالية
٨	النبهاني		●			وسط المزارع	المزارع	١٨٥	شبه معمور	ضعيفة
٩	قليقل		●			بالقرب من آثار	المزارع	٦٥	مهجور	متوسطة
١٠	العفيري		●			وسط المزارع	المزارع	١٠٠	شبه معمور	ضعيفة


مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



ب - مساحة المساجد الطينية القديمة:

تتميز معظم مساجد الدرعية الطينية المتبقية بصغر المساحة ولاسيما في مناطق المزارع حيث تُراوح المساحة بين ٦٥ و٢٢٥ مترًا مربعًا، وهذا أمر طبيعي حيث إن من يؤم هذه المساجد هم فقط أهالي المزارع المجاورة أو بعض عابري السبيل. وتتفاوت تلك المساحة تبعًا لأعداد المصلين الذين تخدمهم تلك المساجد من أصحاب المزارع المجاورة والتجمعات السكانية التي حولها. في حين يلاحظ أن مساجد الأحياء اكبر قليلاً حيث تُراوح مساحتها بين ٢٦٥ و٦٥٠ مترًا مربعًا؛ وذلك لكونها تخدم شريحة أكبر من السكان المجاورين خاصة في حيي الظويهرة والسريحة، حيث لا يوجد في هذين الحيين مساجد أخرى، وهذا بخلاف حي الطريف والذي كانت توجد به أربعة مساجد لا يزال اثنان منها قائمين. ويمكن أن نستشف من واقع ما يذكره كبار السن من أهل الدرعية أن عدد سكانها (بما فيهم أصحاب المزارع التابعة لها) بعد إعادة إعمارها والى ما قبل حوالي نصف قرن من الزمان كان محدودًا جدًا حيث كان يجمعهم مسجد جامع واحد هو مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحي البجيري قبل عمارته الجديدة والتي لم تزد مساحة قاعة الصلاة فيه عمَّا كان عليه قبل إعادة إعماره بالمواد الحديثة. وهذا يعني أن عدد المصلين في الجامع الوحيد في تلك الفترة من واقع مساحته والمناطق المفتوحة المجاورة له (على افتراض صلاة الناس فيها عند امتلاء قاعة الصلاة) لا يتجاوز بحال خمسمائة إلى سبعمائة مصلٍّ، ومن ذلك يمكن تقدير عدد السكان (خلال تلك

الفترة) عند الأخذ في الحسبان النساء والأطفال بأنه يُراوح ما بين ثلاثة وخمسة آلاف نسمة. ولعل فيما أورده تقرير لمركز التنمية الاجتماعية بالدرعية بأن عدد سكان الدرعية في عام ١٣٨٧هـ بلغ ٤٠٠٠ نسمة ما يوضح أن تلك التقديرات تبدو منطقية ومعقولة. ولنا أن ندرك حجم النمو العمراني الذي حصل في الدرعية خلال العقود القليلة الماضية إذا علمنا أن الدرعية تحوي في الوقت الحاضر حوالي عشرة جوامع.

ج - الفراغات الوظيفية والعناصر المعمارية والزخرفية للمساجد بالدرعية:

تمثل البساطة ومحدودية الفراغات الوظيفية والعناصر المعمارية وقلة الزخارف والعناصر التكميلية أبرز المظاهر التي تميزت بها المساجد التقليدية في المنطقة الوسطى من المملكة على وجه العموم ومساجد الدرعية على وجه الخصوص. فقد تميزت المساجد الطينية في مدينة الدرعية بالبساطة من الناحية الشكل المعماري العام وقلة العناصر المعمارية الوظيفية لمكونات المسجد. كما تميزت بقلة الزخارف وغياب بعض العناصر التكميلية للمسجد خاصة في المساجد الصغيرة. وتمثل المساجد الطينية التي لا تزال قائمة في أحياء الدرعية التأريخية أو بين المزارع على حافتي وادي حنيفة بمنطقة الدرعية أنموذجًا للمساجد التقليدية في نجد وذلك من حيث طبيعة الفراغات المعمارية الوظيفية وعناصر المسجد المعمارية والزخرفية والتي يمكن إجمالها كالتالي:

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



١- الفراغات الوظيفية والعناصر المعمارية:

السرحة:

وهي عبارة عن فناء المسجد أو صحنه، وتمثل ساحة انتقالية غير مسقوفة أو محاطة بأي أروقة من جهاتها الثلاث عدا جهة القبلة حيث توجد الظلة. وتشكل السرحة فراغًا انتقاليًا مهمًا بين مداخل المسجد والخلوة في مؤخرة المسجد من جهة وأروقة المسجد جهة القبلة من جهة أخرى. وتستخدم هذه المساحة للصلوات النهارية والليلية وقت اعتدال الجو، وغالبًا ما كانت تفرش بالحصباء، أو يستخدم في فرشها بعض الحُصُر منسوجة من القصب أو ما يطلق عليها "المدات" والتي كانت تجلب من الأحساء في شرق المملكة.

الخلوة:

وهي عبارة عن مساحة مسقوفة بمؤخرة المسجد أو أسفل من السرحة، وغالبًا ما تكون محفورة أو جزء منها في الأرض للاستفادة من الخصائص الحرارية للتربة في حماية المصلين من شدة البرد في الشتاء وخاصة في صلوات المغرب والعشاء والفجر، في حين يستفاد من سطحها المشمس في أداء الصلوات النهارية.

المصابيح:

وهي عبارة عن الظلة أو قاعة الصلاة في معظم أوقات السنة، وتتكون من فراغ مسقوف محمول على عدد من

الأروقة جهة القبلة والتي تُراوح من رواق واحد في المساجد الصغيرة كمساجد المزارع ونحوها إلى عدة أروقة في مساجد الأحياء والجوامع الكبيرة. وتطلق لفظة "المصابيح" على المناطق المحصورة بين صفين من الأعمدة المتتالية والموازية لجدار القبلة كما تطلق على المساحة المحصورة بين الصف الأول من الأعمدة مما يلي المحراب وبين جدار القبلة. وتتكون تلك الأروقة من مجموعة من أعمدة حجرية أسطوانية الشكل تحمل عقودًا مثلثية الشكل.

المحراب:

وهو عبارة عن تجويف إلى الخارج بشكل نصف دائري تقريبًا، ويعمل في جدار القبلة للدلالة عليها ويكون ذلك في قاعة الصلاة "المصابيح" في مقدمة المسجد. ويمثل المحراب المكان الذي يقف فيه الإمام لإمامة الناس في الصلاة فيكون سترة له، وهو بهذه الوظيفة يوفر مكانًا خاصًا للإمام بدلاً من رجوعه إلى الخلف واستهلاكه لحيز من الصف الأول. ولا يستبعد أن يكون للمحراب وظيفة أخرى مثل تضخيم الصوت عند القراءة أو التكبير خاصة في ذلك الزمن الذي لم يكن فيه هناك وجود لمكبرات الصوت. ويتميز محراب الصلاة في مساجد الدرعية الطينية الصغيرة منها والكبيرة بكونه ذا مسقط نصف دائري محدود السعةِ، ويمثل في منظوره جزءًا من مخروط تضيق دائرته كلما اتجهنا إلى الأعلى ويستمر إلى نهاية سترة السطح للمسجد.





الدرج:

وهو عبارة عن عنصر الحركة الرأسية الرئيس في المسجد والمتمثل في سلم بسيط يربط سرحة المسجد بالسطح، حيث يؤذن للصلاة في حال عدم وجود منارة للمسجد، كما يستخدم هذا الدرج للوصول إلى سطح المسجد للقيام بأعمال الصيانة خاصة في موسم الأمطار. ويقود هذا الدرج أيضًا إلى منارة المسجد والتي تعلو السطح ويكون لها في العادة درج مستقل يقود إلى أعلاها حيث يصعده المؤذن عند حلول الوقت لإعلان الأذان. كما يوجد في بعض المساجد التي تشتمل على خلوة أدراج محدودة تقود إلى منسوبها السفلي وكذلك إلى سطحها لاستثمار تلك الفراغات في الصلاة في الأوقات المناسبة من حيث شدة الحرارة أو شدة البرودة.

المنارة:

وهي عبارة عن المئذنة التي يرفع من عليها الأذان للإعلام بدخول الوقت، وغالبًا ما تكون في مساجد الأحياء ويندر وجودها في المساجد الطينية بمناطق المزارع، والتي يؤذن فيها غالبًا في سرحة المسجد أو على سطحه. وتتفاوت أطوال المنارات في المساجد الطينية في الدرعية، فمنها ما يرتفع عن سطح المسجد نحو ستة أمتار مثل مسجد الظويهرة، ومنها ما هو دون ذلك كمسجد السريحة، في حين تختفي تلك العناصر تمامًا في المساجد الطينية الصغيرة كمساجد المزارع. وعادة ما توجد المنارة في المساجد النجدية ومنها

مساجد الأحياء بالدرعية في منطقة السرحة، وتختلف أشكال المنارات في المساجد الطينية في نجد فتكون تارة دائرية المسقط، وتارة تكون مربعة المسقط كما هو الحال في مسجدي الظويهرة والسريحة بالدرعية. وعمومًا فإن تلك المنارات على اختلاف أشكالها تتدرج فتكون متسعة في الأسفل وتضيق في الأعلى. وتتميز المنارات المحدودة الباقية في مساجد الدرعية الطينية بشكل عام بالضخامة وقلة الارتفاع ومحدودية الفتحات، وتحوي بداخلها على سلم يبدأ من سطح المسجد ويقود إلى أعلاها ويغلب على هذا السلم الضيق ويرتكز على جدران المنارة الخارجية من جهة ودعامة من الطين بوسط المنارة من جهة أخرى.

العقود المثلثية:

وهي عبارة عن عقود مثلثة الشكل يتكون ضلعا كل منها من مستقيمين مائلين بزاوية حادة (تتفاوت من مسجد لآخر)، ويتقابل هذان المستقيمان عند رأس العقد، في حين يرتكز كل ضلع على رأس عمود على جانبي العقد. ويستخدم في بناء العقد حجران مشذوبان بشكل شبه منتظم على هيئة متوازي مستطيلات ويطلق عليهما "الكمرات". وتستند تلك الكمرات على بعضهما عند رأس العقد ويرتكز كل منهما على رأس العمود من خلال حجرين يمثلان تاج العمود أحدهما وهو الأعلى أكبر من الآخر الذي تحته ويطلق عليهما "القنايع"، ويتم تثبيت تلك الأحجار مع بعضها بالجص.





٢- العناصر الزخرفية والإضافية:

الأعمال الجصية:

هي تلك الأعمال التي تستخدم فيها مادة الجص والتي تنتج محليًا في أعمال التشطيب والتجميل والزخرفة للفراغات الداخلية للمسجد كلها أو أجزاء منها. ويدخل في ذلك تزيين إطارات النوافذ والأبواب وتكسية الأعمدة والعقود بتلك المادة، وغالبًا ما يتم حفر بعض النقوش والزخارف على الأعمال الجصية في الدور والقصور وغيرها، إلا أن ذلك نادر جدًا في المساجد الطينية في نجد ومنها مساجد الدرعية.

الحقاف والحداير:

وهي عبارة عن وحدات زخرفية يتم تشكيلها من خلال بعض المثلثات أو المستطيلات الزخرفية على واجهة الجدار الداخلي للمسجد الذي يفصل الأروقة عن صحن المسجد أو السرحة. وتعرف تلك الوحدات الزخرفية بالحداير، وغالبًا ما تعمل أسفل خط غائر يعرف بالحقاف. وتوجد تلك العناصر عادة في بعض المساجد الكبيرة كما هو الحال في مسجد الظويهرة، ويندر وجودها في المساجد الطينية الصغيرة كمساجد المزارع ونحوها. ويُعتقد بأن هناك وظيفة لهذين العنصرين الزخرفيين، خلاف الجانب الجمالي، تتمثل في تجميع مياه الأمطار على الجدران من خلال عنصر الحقاف ومن ثم طردها بعيدًا عن الجدار من خلال عناصر الحداير وذلك للحد من تأثير مياه الأمطار على الجدران الطينية.

الكوات:

ومفردها كوة وهي عبارة عن تجويف صغير غائر غير نافذ في جدران المسجد يرتفع عن أرضية المسجد بنحو متر ونصف تقريبًا. وللكوة عدة أشكال أبرزها النصف دائري تقريبًا وهو الموجود في مساجد الدرعية الطينية، كما أن لها أشكالاً أخرى كالمستطيل والمثلث وغيرهما. وتستخدم الكوة، لحفظ المصاحف ووضع مصابيح الزيت أو السُرُج للإضاءة خاصة في صلاتي العشاء والفجر، وعادة ما يتم تجصيصها أو أجزاء منها.

حوامل المصاحف:

هي عبارة عن رف حجري بارز عن جسم أعمدة المسجد الحجرية الحاملة للعقود المثلثية التي تحمل سقف المسجد، وغالبًا ما تكون تلك الأرفف على ارتفاع نحو المترين من أرضية المسجد. وتشيد أثناء أعمال البناء للأعمدة وتكون باتجاه الشرق مما يلي المصلين، وتستخدم عادة لوضع المصاحف والكتب الدينية، وغالبًا ما يتم تجصيصها ضمن أعمال البياض للاعمدة.

ويلاحظ من الجدول (٣) بعض الفراغات الوظيفية والعناصر المعمارية والزخرفية الموجودة في مساجد الدرعية الطينية، ويمكن وبسهولة تبين أن مسجد الظويهرة يحظى بأهمية خاصة في هذا الشأن وذلك لاحتوائه على كافة العناصر المعمارية والزخرفية المذكورة ونسبه الجمالية المميزة وخاصة منارته، وذلك بالإضافة إلى موقعه المميز ضمن حي البجيري والذي تم تطويره من قبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وكان افتتاحه عام ١٤٣٦هـ. وتتفاوت المساجد الأخرى في هذا الشأن إلا أنه





يلاحظ بشكل عام البساطة وعدم التكلف وبساطة الإنشاء واستخدام مواد البناء المتوافرة والاعتماد على الخبرات المحلية والاهتمام بالوظيفة. ولعل ما ذكر يفسر اختفاء المنارة من كافة مساجد المزارع وعدم استخدام القباب أو الأقبية في الإنشاء، وغياب الزخارف المكثفة إلى غير ذلك من العناصر التكميلية.

(الجدول٣)
يوضح العناصر المعمارية والزخرفية الموجودة
في مساجد الدرعية الطينية

مسلسل	اسم المسجد	العناصر المعمارية والزخرفية الموجودة										
		محراب	كوات	حوامل مصاحف	أعمال جصية	مصابيح	عقود مدببة	حقاف وحداير	سرحة	منارة	درج	خلوة
١	العذيبات	●	●		●	●	●	●	●		●	
٢	العويسية	●			●		●		●		●	
٣	الدواسر	●							●			
٤	بريكة	●	●		●	●			●		●	●
٥	سبالة موضي	●	●		●	●	●		●		●	●
٦	الظويهرة	●	●	●	●	●	●	●	●	●	●	●
٧	السريحة	●			●	●	●		●	●	●	●
٨	النبهاني	●	●		●	●	●	●	●		●	●
٩	قليقل	●	●		●	●	●		●			
١٠	العفيري	●	●		●	●	●		●		●	●

د - حالة المساجد الطينية وإمكانية استثمارها:

تعاني غالب المساجد الطينية الموصوفة في هذه الدراسة من الإهمال، ولاسيما المساجد المهجورة ولا يكاد يستثنى من ذلك سوى مسجد العذيبات الواقع ضمن مزرعة سمو الأمير سلطان بن سلمان والذي حظي بأعمال ترميم بأسلوب علمي مدروس، وكذلك مسجد الظويهرة والذي رمم ضمن أعمال تطوير حي البجيري على نفقة سموه جزاه الله خيرًا. وكذلك مسجد السريحة والذي جرى ترميم أجزاء كبيرة منه على نفقة سموه أيضًا وكان افتتاحه بشكل جزئي في رمضان سنة ١٤٣٨هـ، ولا تزال أعمال الترميم قائمة في منطقة صحن هذا المسجد. وقد بُدِئ مؤخرًا في ترميم مسجد الدواسر ضمن مشروع ترميم المساجد التاريخية. أما بقية المساجد الطينية المعمورة أو شبه المعمورة بالمصلين فلم تحظ بأعمال ترميم وصيانة تذكر سوى بعض الاجتهادات من بعض المحسنين أو من بعض العمالة التي ترتادها للصلاة فيها نظرًا لقربها من مكان عملهم وسكناهم.

وتعود أسباب تلف تلك المساجد إلى العديد من العوامل البيئية والبيولوجية والفيزيوكيميائية، بالإضافة إلى سوء الاستخدام وضعف الصيانة. وتكمن أبرز العوامل البيئية في تأثير الأمطار والتي تعمل على إتلاف مادة الطين خاصة بعد مواسم الأمطار، وذلك بالإضافة إلى تأثير الرياح وخاصة المحملة بالرمال والتي تعمل على تآكل زوايا جدران المساجد الخارجية وأطراف جدران سترة السطح. وتتمثل العوامل

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



البيولوجية في نمو بعض النباتات بالقرب من أساسات بعض المساجد وعلى أسطحها خاصة المساجد القريبة من المزارع وما يسببه ذلك من تلف نتيجة لنمو جذورها واجتذابها للماء الذي يعمل على تحلل مادة الطين، وكذلك اتخاذ بعض الطيور كالحمام والعصافير بعض المساجد المهجورة مأوى لها، وما سببه ذلك من تلف ناتج عن ما تتركه من مخلفات وغيرها، وكذلك وجود بعض القوارض والحشرات كالنمل الأبيض. وتكمن أبرز العوامل الفيزيوكيميائية التي أسهمت في تلف تلك المساجد في بعض الظواهر الفيزيائية المتمثلة في تعاقب عمليات التمدد والانكماش لمادة الطين خاصة في ظل التفاوت الكبير في درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين فصول السنة وما تسببه تلك الدورات من تلف للروابط بين مكونات التربة. وتتمثل التفاعلات الكيميائية في طرح بعض الأملاح نتيجة تبخر المياه من جدران الطين عقب مواسم الأمطار، أو نتيجة الخاصية الشعرية وانتقال المياه من التربة وما يسببه ذلك من تفكك لمادة الطين وخاصة في الأجزاء السفلية من الجدران.

وقد أسهمت بعض أعمال الترميم غير المدروسة في زيادة تلف بعض المساجد وذلك مثل تغطية بعض الأرضيات والجدران بمادة الأسمنت التي عملت على اجتذاب الماء من التربة وأدت إلى تحلل مادة الطين، ويظهر هذا بشكل واضح في مسجد النبهاني. كما أسهمت إضافة بعض العناصر المعمارية (مثل دورات المياه وتغطيات سرحة بعض المساجد

وإضافة بعض أعمال الإنارة والتكييف) بشكل مرتجل في تشويه العديد من المساجد الطينية والإسراع من تلفها نتيجة سوء التنفيذ وانعدام أعمال الصيانة والنظافة.

ومع أهمية العناية ببيوت الله وصيانتها بشكل عام فإن المساجد التي يؤمها الناس بشكل كبير يجب أن تحظى بمزيد من الاهتمام خاصة إذا أدركنا طبيعة تلك المساجد الطينية وما تتطلبه من عناية كبيرة وتأهيل شامل وبرنامج علمي ودوري للصيانة. وتتفاوت إمكانية الاستثمار للمساجد الطينية في مشروع تطوير الدرعية ومشروع تطوير وادي حنيفة، وذلك تبعًا لقرب تلك المساجد أو بعدها من المنطقة التاريخية أو من مجرى وادي حنيفة. فيلاحظ أن مساجد الأحياء تمثل إمكانية عالية للاستثمار كما هو الحال في كل من مساجد بريكة، وسبالة موضي، والظويهرة، والسريحة وذلك لقيمتها التاريخية وكبر مساحتها وأهمية موقعها. في حين تحظى بعض المساجد الأخرى بإمكانية استثمار متوسطة نظرًا لوقوعها على ضفة الوادي مباشرة (كما هو الحال في مسجد الدواسر)، أو وقوعها على بعض الطرق المؤدية لبعض المواقع التاريخية (كما هو الحال في مسجد قليقل)، مثل حي غصيبة التاريخي في شمال غرب الدرعية. وتبقى إمكانية الاستثمار لبعض المساجد ضعيفة إما لكونها واقعةً ضمن أملاك خاصة (كما هو الحال في مسجد العذيبات) أو تتوسط بعض المزارع (كما هو الحال في مساجد العويسية، والنبهاني، والعفيري)، والتي يصعب الاهتداء إليها إلا من قبل كبار السن من أهالي



الدرعية أو بعض العارفين. ولا يعني هذا تبرير إهمالها أو عدم العناية بها أو صعوبة استثمارها بل يستوجب وضعها ضمن خطة شاملة للعناية بتلك المساجد والدلالة عليها ببعض اللوحات الإرشادية على مسار وادي حنيفة وذلك ضمن برنامج تطوير وادي حنيفة حيث إنها تتوزع وبشكل مميز وقريب من مجرى الوادي.

التوصيات:

١- تأسيس لجنة أو هيئة استشارية مستقلة تضم نخبًا متنوعة من المثقفين والأكاديميين والمتخصصين للنظر في قرارات إعادة التنظيم والهدم والإزالة، بحيث لا تتحول جهود إعادة تنظيم وتطوير المدن إلى معول هدم يقضي على تاريخها وتراثها الحضاري.

٢- سنّ التشريعات والأنظمة والسياسات العامة التي تلزم المؤسسات والأفراد بالحفاظ على التراث العمراني وتبين كيفية التعامل معه على كافة المستويات. ووضع المواصفات الفنية والضوابط المنظمة لأعمال ومشاريع الترميم والحفاظ على التراث بأسلوب علمي مدروس.

٣- العمل على تطوير المعايير المختلفة الواجب اتباعها عند اختيار وتقييم مباني التراث العمراني المهمة سياحيًا وعمرانيًا، والعمل على تصميم قاعدة معلومات إلكترونية لإدخال وعرض المعلومات الخاصة بكل معلم.

٤- ضرورة أن تهتم الجهات المعنية بالتراث العمراني بالتنسيق وإجراء الاتصال الفعّال مع الهيئات المتخصصة

والجامعات ومراكز البحث العلمي ومؤسسات المجتمع لتفعيل مشاريع الحفاظ على التراث العمراني ونشر الوعي المعرفي بأهمية هذا التراث وسبل الحفاظ عليه واستثماره.

٥- ضرورة أن يتوافر لدى الأمانات والبلديات قدرٌ من المعلومات كبير، تتعلق بالخلفيات التاريخية والاجتماعية والثقافية للمناطق والمباني التراثية، بالإضافة إلى الدراسات الفنية والاقتصادية ودراسات الجدوى والتكاليف وأساليب الترميم والمواد المستخدمة والآليات والمعدات المطلوبة وغيرها من المعلومات الضرورية.

٦- يجب تأهيل عدد من المكاتب الاستشارية الهندسية في المدن الرئيسية في المملكة للقيام بإجراء الدراسات وإعداد التصاميم والمواصفات الفنية لمشاريع الترميم والإشراف على تنفيذها. وكذلك يجب تأهيل عدد من شركات المقاولات الوطنية التي تمتلك الخبرات الفنية والكوادر البشرية والآليات والمعدات التي تمكنّها من تنفيذ مشاريع الترميم وفق المواصفات والاشتراطات المطلوبة.

٧- أهمية تأسيس صندوق وطني لدعم سبل الحفاظ على التراث العمراني واستثماره، بحيث يقدم القروض والمنح للأفراد والجهات التي لديها مشاريع مدروسة وذات جدوى في هذا الشأن، وذلك وفق ضوابط محددة.

٨- ضرورة عدم الوقوف عند الجوانب المادية للتراث من حيث توثيقه وتسجيله وربما ترميمه فقط وتجاوز ذلك إلى

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



آفاق معنوية أرحب من حيث استثماره ثقافيًا وعلميًا واقتصاديًا.

٩- إعادة النظر في قوانين وأنظمة الأراضي والبناء بأحياء الدرعية التاريخية بحيث تتماشى مع الأهداف الرئيسية للحفاظ على التراث العمراني، بالإضافة إلى استصدار التشريعات اللازمة والكفيلة بالحفاظ على التراث العمراني وإيقاف التجاوزات عليه.

١٠- المسح الشامل لكافة المباني بأحياء الدرعية التاريخية وجمع المعلومات الخاصة بمواقع وأبعاد وتفاصيل الأنسجة الحضرية والمباني التراثية فيها والظروف المحيطة بها والمعلومات التاريخية عنها.

١١- أهمية التنسيق بين الجهات المختلفة المهتمة بالدرعية كالهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض والهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني ومحافظة وبلدية الدرعية، وذلك من خلال وضع إطار عام يوحد الجهود ويرسم آلية للعمل الجماعي ويحدد المهام لكل جهة ويلغي الازدواجية.

١٢- الاستثمار الأمثل لخصائص مدينة الدرعية التاريخية والبيئية والدعم الحكومي الكبير لبرنامج تطويرها، وذلك في إيجاد نموذجٍ وطني مميز للاهتمام بالتراث العمراني وتوظيفه بشكلٍ فريد في برامج سياحة ثقافية تعكس الهوية وتحقق المنافسة على كافة المستويات.

١٣- ضرورة أن تكون هناك آلية ملائمة لمنح تراخيص ترميم وصيانة المباني التراثية، وأن تقوم إدارة رخص البناء في

بلدية محافظة الدرعية قبل إصدار تصاريح الترميم والصيانة الخاصة بالمباني ذات القيمة التاريخية أو التراثية بالتأكد من ملاءمة تصاميم الترميم وتوافقها وانسجامها مع المحيط المجاور.

١٤- أهمية وجود نظام موحد للتعريف بالمساجد التراثية بالدرعية والدلالة عليها، خاصة المساجد التي داخل مناطق المزارع بالقرب من مجرى وادي حنيفة.

١٥- ضرورة ربط كافة المساجد الطينية التي تقع في مناطق المزارع بممرات للمشاة واضحة المعالم تربطها بوادي حنيفة مع وضع اللوحات الإرشادية اللازمة كي تيسر الاستفادة منها من قبل مرتادي الوادي من المتنزهين والعابرين.

١٦- يجب تطبيق برنامج تفصيلي شامل لصيانة المساجد الطينية الباقية بالدرعية وإعادتها إلى وضعها الطبيعي، من خلال استكمال أجزائها المنقوصة أو المخرّبة، ببناء جديد مماثل في الشكل والحجم واللون والملمس.

١٧- إزالة كافة العناصر أو الأجزاء الدخيلة على المساجد الطينية بالدرعية وإعادة تأهيلها وترميمها بنفس النمط المعماري التراثي مع إضافة ما يلزم من خدمات بشكل مدروس ومناسب.

١٨- العمل على وضع نظام دوري لصيانة كافة المساجد الطينية الباقية بالدرعية، مع إعطاء اهتمام أكبر خلال مواسم الأمطار، وكذلك متابعة أنظمة السباكة والصرف

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع، صفر ١٤٣٩هـ/ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة الثالثة والأربعون



الصحي لتجنُّب أي تسربات قد تؤدي إلى تلف سريع وضرر مضاعف.

١٩- ضرورة تهيئة المساجد الطينية الباقية بالدرعية للمصلين من حيث توفير مواقف للسيارات والدرجات الهوائية وممرات للمشاة ومنحدرات لذوي الاحتياجات الخاصة وأماكن مناسبة ونظيفة للوضوء مع الاهتمام بالفرش.

٢٠- تعيين أئمة ومؤذنين راتبين لكافة المساجد الطينية القائمة، وكذلك خدم لضمان التشغيل الأمثل لتلك المساجد ومتابعة ما تحتاج إليه من عناية ورعاية بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.